# السر العجيب

# في

# فخر الصليب

The Glory of the Cross.
No. 637.

بقلم


الدكتور صموئيل زويمر

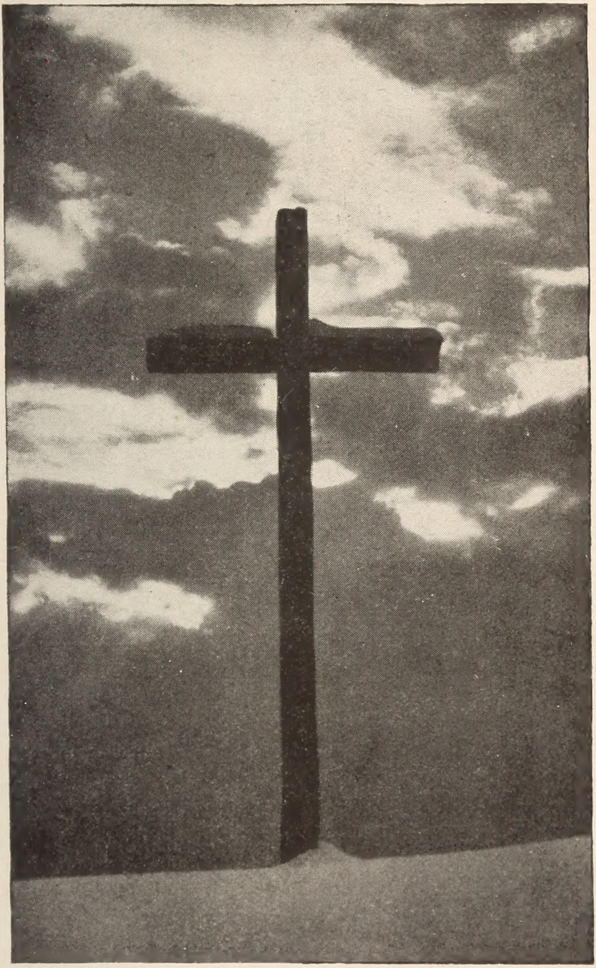


ملتزم الطبع والنشر مطبعة النيل المسيحية
بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر (صندوق ٤٦٠)
وبالقدس والجزائر وحلب وبمباي

تذكاراً من المؤلف

S. M. Zwemer

Princeton



في الصليب في الصليب راحتي بل فخري

# السر العجيب
# في
# فخر الصليب

The Glory of the Cross.

No. 637.


بقلم

الدكتور صموئيل زويمر

ونقله الى العربية

رزق مرقس


---


ملتزم الطبع والنشر مطبعة النيل المسيحية

بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر (صندوق ٤٦٠)

و بالقدس والجزائر وحلب وبمباي

الى ذكرى شهداء الكنيسة في الشرق منذ القديم

«ان تركي كل مالي　　واحتمالي للصليب
لاتباعي ذي الجلال　　وهو لي نعم النصيب
خدمة الرب المعلى　　ربحها ربح جلي
فاذاً يا صيت ول　　يا بـــلايا أقبلي»

# الفهرست

# مقدمة

لما اكتشفت اوربا الطريق البحري الى الهند سافر بعض التجار البرتغاليين — بحراً — حتى وصلوا الى شواطئ الصين واذ توطنوا هنالك بنوا على ساحله الجنوبي — على مرتفعة تطل على الميناء — كنيسة عظيمة سقطت منذ ثلاثة قرون على اثر زوبعة شديدة لم تقو عليها ما عدا واجهتها الضخمة فقد بقيت اثراً خالداً اذ ترى على قمتها المثلثة صليباً عظيماً من الحديد ماثلا في الجو كالعقاب وهو يهزأ بهطول الامطار وقصف الرعود واعاصير الزوابع مما اثر على السير جون باورنج وكان حاكماً في الصين وقتئذ عند ما زار مينا ماكاو في سنة ١٨٢٥ — حتى كتب ترنيمته العذبة التي مطلعها

في صليب الرب فخري  عالياً فوق الدهور
كل نور الصلب يبدي  مجـــد وجهه المنير

والان فقد زال ذكر بنائي هذه الكاتدرائية القديمة اما ذلك الصليب الذي اقاموه تخليداً لذكرى ذلك المصلوب فباق

كذلك بلاد الصين. فقد رأت ارضها تغييرات هائلة وعفت نظاماتها القديمة وثلت فيها عروش اما ذلك الصليب فباق مع الزمن

أجل انها حائط عظيمة مهدمة على مرتفعة في ثغراتها المخيفة تعشش الطيور ومن ابوابها ونوافذها المشققة ترى بحر وسماء الصين بل وجبالها ايضاً ولكنك ترى فوق الكل ذلك الصليب الذي يحول كل هذا الخراب الى جلالا ووقاراً

وهكذا كان الصليب في جميع البلدان وفي كل العصور

والمرسل بين المسلمين – الذين لهم صليب المسيح حجر عثرة وكفارته جهالة – يضطر يومياً الى زيادة التأمل في سر الفداء هذا فالى زيادة اليقين بانه لب رسالتنا وتبشيرنا

وهذا سر غيرة المرسل

لانه اذا كان صليب المسيح شيئاً فهو للعقل كل شيء – اعمق حقيقة واسمى سر – وهنا يتحقق الانسان بان فيه يرتكز حرفياً كل غنى الانجيل ومجده. والصليب هو المحور كما انه هو المركز الذي يدور عليه فكر العهد الجديد انه علامة الفكر المسيحي الوحيدة بل هو رمز المسيحية ونجمتها القطبية

وكلما ازداد الملحدون في انكار صفته الكفارية وجد المؤمنون فيه المفتاح لاسرار الالم والخطية ونحن انما ندرك ذلك التأكيد الرسولي على الصليب عند ما نطالع الانجيل مع المسلمين ونرى – بالرغم عن بقاء عثرة الصليب – ان قوته الجاذبة لا تقاوم

والفصول التالية في هذا الكتاب انما هي نتيجة التأمل مدة سنوات عديدة في آلام رب المجد وموته على الصليب وسط قوم ينكرون حقيقة الصليب وضرورة الكفارة والفداء على ان المسلم ليس وحيداً في انكاره فان رسالة الصليب ما تزال لعقلاء هذا العالم اهانة او فضيحة بل شيئاً زائداً او جهالة ومع ذلك فان المسيح على الصليب هو الذي سيجذب اليه اخيراً جميع العالمين وتحت ظل الصليب كل راحة وسلام. ان مجد الصليب حقيقي كعاره والتأمل في عاره هو رؤية مجده. ان الصليب هو الذي يفسر الخطية والبر والمحبة بل هو قوة الله وحكمة الله

وظله اطول ظل في العالم لانه وقع حتى بزغ فجر القيامة ولقد « اراهم (تلاميذه) يديه وجنبه» فهل اراك ذلك مرة؟ لقد فرح التلاميذ عند ما رأوا آثار الجروح في الرب القائم (من الموت) وقال الرسول «حاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وانا للعالم »

في «بيت لحم» فارس امواله احزان
اجناده بين الورى في الارض هم حملان

مبوقوه للملا كانوا هم الطيور
وقصره من خشب صليبه المشهور

وتاجه قد حاكه الـ اشرار من اشواك
لكن رمزه علا بل ناطح السماك

صموئيل زويمر
مصر

# الفصل الاول

## اول كل شيء ... «ان المسيح مات»

«كما انه لا يوجد غير اله واحد فقط كذلك لا يمكن ان يوجد غير انجيل واحد فقط ـــ واذا كان الله قد اتم ـــ حقيقة ـــ في المسيح شيئاً يتوقف عليه خلاص العالم واذا كان الله (جل جلاله) قد اعلن هذا الشيء فيكون والحالة هذه واجباً مسيحياً ان نرفض اي شيء يتجاهل هذا الامر او ينكره او يدحضه والانسان الذي يفسده لهو شر عدو لله وللناس جميعاً وليس هو سوء طبع او تعصب في بولس الرسول عند ما يستعمل تلك اللهجة الحادة (في غلاطية ١:٨) بل هي غيرة الله التي اشعلت في نفس فداها موت المسيح غيرة معادلة لاجل المخلص ومثل هذا التعصب لهو عامل اساسي في الديانة الحقة الشاملة لجميع البشر من الفوائد. بل ان التمسك (بالصليب) في هذا المعنى ما يرافقه فانه عند ما يكون لنا الانجيل الواحد فقط ـــ يكون لنا عندئذ ـــ الانجيل للجميع»

جيمس دني (استاذ اللاهوت)

في كتابه «موت المسيح»

# الفصل الاول

## أول كل شيء ..... « ان المسيح مات »

قال بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس : «فانني سلمت اليكم — في الاول — ما قبلته انا ايضاً ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب» وان القارئ المدقق ليلاحظ من سياق الحديث — كما يلاحظ الدكتور موفات بكل تأكيد في ترجمته — ان هذا هو لب رسالة بولس ومركز تعاليمه بل وانجيله الوحيد وانا نرى في ترجمة موفات الآنفة الذكر كلمة انجيل مكررة اربع مرات لتقرير بيان حقيقة هذا الانجيل أو البشارة الطيبة اذ يقول الرسول انه تسلمها من الرب ومن الكنيسة الاولى وبالتالي فان الكنيسة الاولى كانت تعتقد — كما كان يعتقد بولس الرسول نفسه — بان الحق الاول والاساسي للمسيحية انما هو موت المسيح من اجل خطايانا وان بولس قد تسلم هـذا الحق وعلّم به في

ظرف سبع سنين من حادثة موت المسيح أو في اقل من هذه المدة تبعاً لبعض التواريخ الاخرى

على ان الكلمة اليونانية المترجمة «في الاول» يمكن ايضاً ترجمتها الى «قبل الكل» أو في مقدمة كل الحق . ونفس هذه العبارة واردة في الترجمة السبعينية حيث وضع يعقوب الجاريتين وأولادهما اولا (تلك ٣٣:٢)

ان موت المسيح على الصليب كان لدى بولس الرسول في الدرجة الاولى من الاهمية واعظم واقوى ركن في قانون ايمانه . انه الركن الاساسي بل هو مفتاح العقد وحجر الزاوية لهيكل الحق وتتضح صحة هذا الامر من المكان الذي يملأه موت المسيح في الكتب والرسائل الرسولية بل في خدمتي السرين كما تكرسهما جميع الكنائس المسيحية وفي الترانيم المسيحية قديمة كانت أم حديثة . فالبراهين على حقيقته كثيرة وعديدة . فليس الصليب هو الرمز العام الوحيد للمسيحية بل هو رسالتها الحقة العامة انه صميم قلب الانجيل والكلمة الحادة القوية

والأمضى من السيف ذي الحدين لان لا شيء يبكت على الخطية مثل الصليب اذ فيه نستطيع ان نرى «خطايانا الخفية في ضوء وجهه» الذي عيناه كلهيب نار والآن فانصت الى نيافة الاسقف اندروز وهو يسكب قلبه في عبادته السرية امام الصليب اذ يقول :

يا منْ سمحتَ لرأسك المجيد ان يجرح
اغفر لذلك كل خطإٍ عملته بواسطة حواس رأسي
ولكلتا يديك ان تثقبا
كل خطإٍ صنعته يداي بلمس دنس أو عمل محرم
ولجنبك الثمين ان يطعن
كل خطإٍ وقعت فيه بواسطة الافكار الشريرة والشهوات الجسدية
ولقدميك المباركتين ان تُسمَّرا
كل ما عملته بواسطة قدميّ السريعتين الى الشر
ولكل جسمك ان يُصلَب
كل خطية جنيتها بواسطة أي عضوٍ من أعضائي

فاني انا ايضاً ايها الرب مجروح في الروح
فانظر كثرة وطول وعرض وعمق جراحي
وبواسطة جراحك اشف جراحاتي

ان صليب المسيح هو نور الله الكشاف لانه يعلن محبة الله وخطيئة البشر ، قوة الله وعجز البشرية ، بل قداسة الله ونجاسة الانسان وكما ان المذبح والذبيحة كانا «اول الكل» في العهد القديم فكذلك الصليب والكفارة هما «أول الكل» في العهد الجديد وكما انه يمكن مد خط مستقيم من أية نقطة من محيط الدائرة الى مركزها فكذلك تعاليم العهد القديم والعهد الجديد عن الخلاص في كل محيطها الواسع ومع كل ما تشمله من حياة جديد وخليقة جديدة بل ومن سماء جديدة وارض جديدة ترجع جميعها في خط مستقيم الى مركز الكل وهو حمل الله المذبوح قبل تأسيس العالم

وتأمل الآن في المكان الذي تملأه قصة الصليب في العهد الجديد فهي مذكورة في كل سفرٍ فيه عدا ثلاث

رسائل صغيرة وهي الرسالة الى فليمون والرسالتان الثانية والثالثة من رسائل يوحنا الحبيب فالاناجيل الاربعة تخصص مكاناً اكبر بالنسبة الى قصة الصليب من أي مظهر آخر في حياة المسيح أو تعاليمه فمتى يذكر — (عدا العبارات العديدة التي ينبئ فيها بموت المسيح )— هـذه المأساة في فصلين طويلين يحتويان على مائة واحدى واربعين عدداً ومرقس يخصص اصحاحين ايضاً هما اطول الاصحاحات في انجيله المكون من ستة عشر فصلاً اذ يحتوي هذان الاصحاحان على مائة وتسعه عشر عدداً ولوقا يخصص ايضاً فصلين طويلين يصف فيها حادثة تسليم رب المجد وصلبه أما يوحنا الحبيب فانه يخصص نصف انجيله تقريباً لوصف اسبوع الآلام

أما في سفر اعمال الرسل فان كل التبشير الذي فيه يرتكز على موت ربنا وقيامته .

هذه كانت البشارة المفرحة انه «أراهم . . . نفسه حياً . . . بعد ما تألم» ونهاية موعظة بطرس الرسول في

يوم الخمسين ان يسوع المسيح قد اخذ «مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق و بايدي اثمة» (٢:٢٢) وصلب وقتل «ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم رباً ومسيحاً» (٢:٣٦) كذلك في الهيكل كرر الرسول نفس هـذه الرسالة اذ قال «انتم طلبتم ان يُوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قلتموه» (٣:١٤و١٥) مثبتاً ما سبق الله وانبأ به بافواه جميع انبيائه ان يتألم المسيح (١٨) ولكنه أقام «فتاه (يسوع) وارسله يباركم برد كل واحد منكم عن شروره» (٢٦) وفي اليوم التالي رجع بطرس الرسول الى نفس الموضوع قائلاً: يسوع الناصري الذي صلبتموه (٤:١٠) وفي اول صلاة مذكورة في سفر اعمال الرسل نرى ثانية الاشارة الى آلام وموت «فتاك القدوس يسوع» (٤:٢٧) كما نرى نتيجة هـذه الرسالة معبرٌ عنها بكلمات لا تحتمل الشك في تأويلها اذ قال رئيس الكهنة للرسل «قد ملأتم اورشليم بتعليمكم وتريدون ان تجلبوا علينا دم هذا الانسان» (٥:٢٨) أما

الرسل فأجابوا ان «يسوع الذي قتلتموه معلقين اياه على خشبة هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً» (٣٠و٣١)

ودفاع استفانوس الشهيد كانت خاتمة موت المسيح فاستشهاده هو مباشرة (٧: ٥١—٥٤) وفيلبس فتح فاه ومن اشعيا ٥٣ تكلم عن موت المسيح الى الخصي الحبشي كبشارة (٨: ٣٥) وكرنيليوس تسلم نفس الرسالة عن المسيح «الذي قتلوه معلقين اياه على خشبة» هذا اقامه الله في اليوم الثالث (١٠: ٣٩ و٤٠) وبولس الرسول يتكلم في انطاكية عن يسوع «الذي تألم على يد بيلاطس البنطي وصلب ومات وقبر وفي اليوم الثالث قام من بين الاموات» (١٣: ٢٨) وفي تسالونيكي مكث بولس الرسول يحاج اليهود ثلاثة سبوت من اسفار العهد القديم «انه كان ينبغي ان المسيح يتألم ويقوم من الاموات(١٧: ٣) وفي مدينة اثينا بشر بموت وقيامة المسيح (٣١) وفي كورنثوس لم يعزم ان يعرف شيئاً» الا يسوع المسيح واياه مصلوباً (١كو ٢: ٢) ويستعمل كمرادف لكلمة

الانجيل او البشارة «كلمة الصليب» (١كو ١:١٨) او «كلمة المصالحة» (٢ كو ٥:١٩) وفستوس الوالي يصف رسالة بولس الرسول بانها عن «واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول انه حي (اع ٢٥:١٩) وفي دفاعه امام فستوس يقول بولس الرسول انه ليس له رسالة يقولها للصغير والكبير الا ما تكلم الانبياء وموسى انه عتيد ان يكون. إن يؤلم المسيح يكن هو اول قيامة الاموات مزمعاً ان ينادي بنور للشعب وللأمم (اع ٢٦:٢٢ و٢٣)

وفي رسائل بولس الرسول نرتبك لكثرة القراين ووفرة البراهين للتدليل على ان رسالته الوحيدة كانت الصليب والكفارة ولقد بشر هو مدة خمس عشرة سنة قبل ما كتب اي رسالة منها ومع ذلك لا نستطيع ان نرى تغييراً في التأكيد في هذا الخصوص بين اولى رسائله واخراها بل نرى ان الصليب والكفارة كانا قلب رسالته للرومانيين والتسالونيكيين على السواء ويذكر لكنيسة غلاطية في افتتاح رسالته ان يسوع المسيح قد «بذل نفسه

لاجل خطايانا» وبعد جملة اعداد ليست بالكثيرة يحتد قائلاً بغضب «ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به فليكن اناثيما» وانه لظاهر من جميع رسائل بولس الرسول ان جبل الجلجثة وليس بيت لحم مصدر قوة بشارته فالتجسد حدث حتى يتم به الفداء والصليب هو جليل ولازم لله وللانسان والعالم اذ يقول «ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا» «لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا» «من الذي يدين؟المسيح الذي مات» «نكرز بالمسيح مصلوباً» . . . لان جهالة الله احكم من الناس وضعف الله اقوى من الناس «كنيسة الله التي اشتراها بدمه» وجميع المسيحيين عند ما يشربون الكأس «يذكرون موت الرب الى ان يجيء» وحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وانا للعالم» ويسوع المسيح هو «المحبوب الذي فيه لنا الفداء بدمه» هذا هو سر الدهور وحكمة الله المتنوعة المعلنة بواسطة الكنيسة للرؤساء والسلاطين. اما اعداء

الصليب فيقول عنهم الرسول والدموع ملء عينيه ان مجدهم في خزيهم ونهايتهم الهلاك اذ ينبغي للمسيح ان يكون هو متقدماً في كل شيء (كو ١:١٨) اذ لنا فيه الفداء وبدم صليبه غفران خطايانا. ذلك الصليب الذي هو مركز الانسانية وتاريخها وسوف يشهد بمصالحة الكل بواسطة الدم سواء كان ما على الارض ام ما في السموات (كو ١:٢٠)

اما في الرسالة الى العبرانيين فموت المسيح — حالة كونه الكاهن والذبيحة والمذبح — ظاهر جداً حتى لا نحتاج الى الاستشهاد. فالمسيح هو رئيس الكهنة العظيم الذي «قد اظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة موته» فدم المسيح هو دم العهد ويسوع هو رئيس ايماننا ومكمله اذ احتمل الصليب ودم رشه افضل من ذبيحة هابيل لانه دم العهد الابدي الذي سفكه راعي الخراف العظيم عن الخراف

اما رسائل بطرس الرسول فانها صدى بشارته الاولى وهي ملأى بالاشارات الى آلام المسيح «الذي

حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة . . . الذي بجلدته شفيتم (١ بط ٢:٢٤) واخيراً في رسالة يوحنا الحبيب ورؤياه ما نزال نرى الصليب عالياً اذ نرى فيهما يسوع المسيح «كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضاً» و «ان ذاك وضع نفسه لاجلنا فنحن ينبغي لنا ان نضع نفوسنا لاجل الاخوة» و «الذي احبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه . . . له المجد والسلطان الى ابد الآبدين. آمين» و «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه»

وفي السرين اللذين قبلتهما كل الكنائس الشرقية والغربية نرى في كليهما اشارة جلية عن موت المسيح لاجل خطايانا وهذا واضح ليس فقط من الكلمات المذكورة في العهد الجديد الناصة على كيفية تكريسهما بل من الطقوس الكثيرة المستعملة في اقامتها وهنا يمكننا ان نقول ان هذين السرين انما ينصان — في الاول — على موت المسيح الكفاري فسر العماد هو طقس الدعوة

الى الكنيسة المسيحية ولم يذكر العهد الجديد شيئاً عن مسيحيين غير معمدين كما ان اولئك المؤمنين الاولين قد عرفوا معنى قول بولس الرسول عند ما قال ان كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته اذ كان غفران الخطية وسر المعمودية متحدين في رؤوسهم اتحاد الماء والدم اللذين سالا من جنب المسيح المطعون وكلا السرين انما قصد بهما نقل رسالة الانجيل برموز لا تقبل الشك وما دام هذان السران باقيين في الكنيسة فما يزالان بالرغم عما زيد عليهما من الطقوس واضيف اليهما من الشروحات شاهدين على معنى موت المسيح المخلص وضرورته بل وصفته الكفارية فقد ظلت الكنيسة الاولى مواظبة على «كسر الخبز» اذ ارادت بواسطته اعلان موت المسيح ومغفرة الخطايا بدمه لانه شركة دم المسيح وجسده (١كو ١٠:١٦) روحاً واحداً (١كو ١٢:١٣) لمغفرة الخطايا (متى ٢٦:٢٨) اذ محا الصك الذي علينا (كو٢:١٤) يطهر ضمائرنا (عب ٩:١٤) كل هذا جعل كسر الخبز ثميناً

للكنيسة الاولى ولعموم الكنائس هذه العشرين قرناً

وعند ما نترك انظمة الكنيسة و ننظر في ترانيمها والحانهـا نرى نفس الشهادة ففي اولى الترانيم اللاتينية واليونانية بل في ترانيم الكنيسة القبطية والارمنية كما في كنائس الاصلاح نرى ان الصليب هو «اول كل شيء» وآلام رب المجد هو الذي يلهم المرنمين بل انا لنرى في ترانيم الكنيسة وحدة وتعمقاً في اللاهوت قلما نجدهما احياناً في قوانين الايمان نفسها

«مستحق هو الخروف المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة» و «في وسط العرش خروف قائم» «وكل خليقة قائلة البركة والكرامة والمجد والسلطان الى ابد الآبدين آمين»

بل ان الاحداث في اقطار عديدة و بلغات متعدده يذكرون لب الانجيل عند ما يرنمون قائلين :

«حبه حب عجيب     مات عني بالصليب
سفك الدم الكريم     معطياً دار النعيم»

وهي نفس الرسالة التي انطقت ذلك القديس الكبير سنت برنار ليقول بترنيمته المشهورة التي مطلعها

«لو لم يحبني المسيح ما كان اشقاني
خلصني ذاك الذبيح بدمه القاني»

وما اكثر الترانيم التي تصف آلام المسيح أو تفسر ذبيحة الفداء التي تمت على خشبة الصليب — بالنسبة لترانيم الكنيسة كمجموعة — بل ما اكثر المؤمنين الذين وقفوا بجانب الصليب الى اليوم ورنموا قائلين

«خلني قرب الصليب حيث سال المجرى
من دم الفادي الحبيب داء نفسي يبرا»

وانا لتحضر اذهاننا بالتتابع هذه الترانيم التي يرنمها ملايين المسيحيين في جميع اقطار العالم مثل

«كما انا آتي الى فادي الورى مستعجلا
اذ قلت نحوي اقبلا يا حمل الله الوديع»

«حين ارى صليب من قضى فحاز الانتصار
ربحي ارى خسارةً وكل مجد الكون عار»

«ينبوع جود من دم زاك جرى أنقى حميم من غطس
من جسم فادينا الذي احيا الورى فيه جلا عنه الدنس»

«ايها الفادي الغفور ملجاي صخر الدهور
امحُ اثمي يا رحيم انت عون للاثيم
طهرني بدماك يا مجيباً من دعاك»

وترانيم كثيرة غيرها — معروفة كلها — تجعل موت المسيح هو الموضوع العظيم مثل

«كنت مديون العلى خالق الكل
فقضى ديني الذي مات من اجلي»

«لا يمكن المياه ان تغسل الوضر
لكن دماء ابن الاله تطهر البشر»

لا عجب فمَنْ منا لا يقول :

ليس شيءٌ في يديْ غير قربي للصليبْ
به ألقى نعمةً ورجائي في الحبيبْ
عارياً هبني الكساءْ يائساً هبني النصيبْ
دنساً هبني النقاء طهّرني أو اخيب

فلو كان يسوع الناصري مجرد انسان ولم يكن ما هو في الحقيقة أي كلمة الله ومخلصنا فان مأساة موته تبقى بالرغم عن جميع ذلك اعظم حادثة في تاريخ البشرية فان تعدد وصف هذه المأساة في كتابات معاصريه وذكر آلامه وصلبه بل ان الحوادث المريعة التي تلت موته في عالم الطبيعة وكلماته السبعة التي فاه بها على الصليب وتأثير كل ذلك على من رأوه وسمعوا صوته كما وعلى جميع العصور وجميع الشعوب تثبت بجلاء اهميتها العامة بل ومركزها العالمي. ونحن لا ينبغي لنا ان نقلل من اهميتها. فان اهم حادثة في حياة المسيح بل للمسيح نفسه هي موته

على الصليب من اجل الخطية. ولا مبالغة في قول الاستاذ جيمس دني عند ما يقول :

«اذا كان الفداء — مجرداً عن تعاريفه الدقيقة — شيئاً فهو كل شيء . انه اعمق الحق واكثر ما فيه ابتكاراً . انه يحدد — اكثر من كل شيء آخر — ادراكنا ماهية الله وحقيقة البشرية بل معنى التاريخ وحقيقة الطبيعة انه يحددها جميعاً اذ ينبغي لنا ان نوفقها به — انه مصدر الالهام للفكر بل هو المفتاح في آخر لحظة لجميع الآلام . ان الفداء لهو حقيقة لا تقبل التجزئة . ولذلك فعلى هذه النقطة — في عصر التمدن كما كان في العصور الخوالي — ترتكز جاذبية المسيحية أو رفضها والصليب ما زال مجد للانسان الوحيد أو حجر عثرته الاخير»

# الفصل الثاني

« نحن لم نتبع خرافات مصنعة »

«ان الديانة المسيحية هي مسألة عملية للحياة وليست مجرد معرفة عقلية و «البار بالايمان يحيا» ومع ذلك فانه لمن الاهمية بمكان البرهنة على حقيقة ظروفها وهنا ينبغي للمرء ان يذكر ان المسيحية لم تنشأ على كذبة واننا نستطيع بل و يجدر بنا ان نبرهن ذلك كما نؤمن به فان الاسباب التي تعرضها لامر منشأها قابلة للفحص طبق مبادئ التاريخ المسلم بها كما قد تبرهنت حقيقة معظم هذه الاسباب بواسطة التقدم في مسألة الاكتشافات الاثرية. وعدا ذلك فلا زال مجال العمل واسعاً فان البراهين ما تزال متوفرة اذا ما ثابرنا على الفحص و بحثنا عن هذه القرائن»

السير وليم رمزي

في كتابه «الاكتشافات الحديثة وصحة وقائع العهد الجديد»

# الفصل الثاني

« نحن لم نتبع خرافات مصنعة »

ان الذين يؤمنون بما اوحى به الله في البشائر الاربعة عن ابنه لا يشكون في صحة الحقائق الواردة فيها لان الروح القدس يشهد لهم بحقيقة وقوعها وهم يعرفون مع بطرس الرسول ان كل الحوادث الواردة عن آلام السيد وموته بل وقيامته المجيدة ليست «خرافات مصنعة» بل حقائق واقعة فبطرس الرسول كان شاهد عيان لآلام المسيح ومرقس البشير كان تلميذاً له (لبطرس) ويوحنا الحبيب يقول بما سمع باذنيه ورأى بعينيه ولمس بيديه (١ يوحنا ١:١) ومتى كان احد الرسل الاثني عشر ولوقا يقرر كيف بحث بتدقيق «ممن كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة» ليكتب في هذه «الامور المتيقنة عندنا» «لنعرف صحة الكلام»

ولكن في عصر الارتياب هذا والانتقاد التاريخي

ينبغي لنا ان نواجه اولئك الذين ينكرون وقائع الانجيل وصحتها بل والاعتماد عليها فبعضهم يخبرنا ان يسوع المسيح انما هو شخص خرافي (كذا) وترجمة حياته انما هي «خرافات مصنعة» ترجع اصولها الى ما ينافسها من خرافات الرومان واليونان بل والمصريين الاولى وقد انكر الغنسطيون الاولون قديماً وقوع موت المسيح لاسباب مذهبية واكثر مفسري القرآن ينكرون بتاتاً صلب المسيح وموته

والاعتقاد الشائع بينهم هو ان يهوذا الاسخريوطي هو الذي احتمل العقاب وان الله انقذ المسيح من هذا الموت الفظيع بان شبه له. اجل توجد اختلافات كثيرة في الشرح ولكن المسلمين مجمعون على ان المسيح لم يُصلب ولم يمت عن خطايانا. ولذلك لم يقم من الاموات كما ان خروجه من هذا العالم الى العالم الآخر لم يكن عن طريق الصليب. اما نظرية ستروس الملحد وغيره من جماعة العقليين بان جسد المسيح قد انزل من على الصليب قبل

حدوث الموت ثم انعشته الاطياب في القبر فقد قبلتها باهتمام جماعة الاحمدية الحديثة فان مؤسسها غلام احمد انشأ نفس النظرية عن يسوع الناصري الذي عاد الى الحياة وسافر الى الهند وهنالك صار معلماً بانياً نظريته على رواية كتبها نونوفتش الروائي الروسي ثم انه كشف عن قبر ادعى انه قبر يسوع في كشمير واعلن عن نفسه بانه هو المسيح الجديد وبواسطة وسائل الدعاية (البروباجندا) المنظمة بحذق واجتهاد ملأت جماعة الاحمدية هذه جميع العالم الاسلامي بهذا الخبر الجديد عن المسيح الدجال حتى ان احد الروائيين زعم ان يسوع المسيح لم يمت حقيقة على الصليب بل غشي عليه فقط كي يفيق ويتمم خدمة اجتماعية اوسع وهكذا الملايين من اتباع محمد بناء على اعلان قرآنهم ينكرون بتاتاً ما نعتقده نحن بانه اولى وجليل في رسالتنا فكيف نصير مستعدين لمجاوبتهم عن ذلك الايمان والرجاء الذي فينا ونحنُ

ما شهدناك عيـاناً   ربنا فوق الصليبْ
وسط اعداءٍ غلاظٍ   سمروك يا حبيب

أو سمعناك تنـادي   بصراخك المذيب
لا تجـازهِم الهي   اعفُ عنهم يا مجيب

غـير اننا نقول   بالصـليب للانام
اذ له شقت صخور   والدنا صارت ظلام

ولكن لماذا نؤمن بهذا ؟ انه ينبغي للايمان ان يكون مدعماً بالدليل والبرهان وهنا البراهين عديدة . وانه لمما يقوي ايماننا ان ندرس هـذه الحقيقة : فأولاً ان موت المسيح على الصليب لم يكن شيئاً غير منتظر بل قد سبق وانبئ بوقوعه بوضوح في النبوات اليهودية كما ان افلاطون الفيلسوف قد لمح بنهاية مثل هذا «البار» ولا حاجة لذكر آلام فتى يهوه الواردة في اشعيا ولا مزمور المسيا العظيم الذي يصف موت المسيح ولا تفاصيل تسليمه وموته المذكورة في النبوات الاخرى — فكل

هذه معلومة لدراسي الكتاب المقدس اذ قد رمت هذه الحادثة الجليلة ظلال وقوعها قبل ذلك بقرون. وفي قول يوحنا المعمدان «هوذا حمل الله» انما لخص في هذه الجملة الصغيرة كل معنى تعاليم العهد القديم انه «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» وان حمل الله يجب ان يذبح لاجل خطية العالم وإنا انما نفقد مفتاح العهد القديم عندما ننكر ان «المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب» بل نفقد المفتاح لسر الذبائح الدموية كفارةً عن الخطية بين كل شعب وفي كل عصر وان نبوءة اشعيا «وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا وبجبره شفينا» انما كتبت قبل عصر افلاطون بقليل (٤٢٩ ق م) وافلاطون يخبرنا (في كتابه السياسة المجلد الرابع والصحيفة ٧٤) عن مثل هذا الفادي المكفر الذي يحتاج اليه العالم حتى يستعيد بره اذ يقول«ان الانسان الكامل الذي — بدون ان يفعل شراً — يقبل على نفسه افظع مظاهر الظلم — اجل فان الذي يجلد ويقيد ويعذب بل وتقلع عيناه وبعد

ان يحتمل كل الآلام الممكنة يربط الى سارية هو الذي يلزمه ان يعيد ثانية بدء وصورة البر الاصلية» ولا يهمنا ان نسأل مما استقى افلاطون فكرته عن الانسان البار الذي يتألم لاجل الاثمة حتى يرجعهم ثانية الى الله ويكفينا ان المعنى هنا واضح تقريباً مثل رسالة اشعياء الالهية. انه لا يستطيع احد ان يحيا حياة بارة كاملة دون ان يكون رجل اوجاع ومختبر الحزن محتقراً ومذلولاً ومصلوباً

ولم تكن حادثة موته على الصليب مأساة غير منتظرة من المسيح نفسه ولا خيبة لآماله أو مانعاً لأمانيه بل على النقيض من ذلك كان نفسه يراها قضاء محتوماً وطالما اكد هو حقيقة وقوع هـذه الحادثة المريعة ومن بدء خدمته كان يرى ظلها القريب حتى جعل قانون التلمذة بانه حمل الصليب وفي عماده حسب الذي لم يعرف خطية نفسه مع الآثمة وبعد اعلان مسحته و«من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي له ان يذهب الى اورشليم . . ويقتل» و«ابن الانسان سوف يسلّم الى

ايدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم» بل ان الشهور الاخيرة من حياة المسيح على الارض لتمتاز -- حسب نص الاناجيل -- بتعمده ومحاولته ثلاث مرات ان يعلم تلاميذه البطيئي الفهم عن يقينية موته الأليم العتيد واهميته

وان تفاصيل حادثة الصلب التي يذكرها اولئك الذين -- في بعض الاحايين كانوا شهود عيان -- لا تترك مجالاً للشك في حقيقة وقوع الموت وانهم ليشهدون بصحة وقوعها باشد عبارة كأنهم كانوا ينتظرون وقوع الشك في حقيقتها في المستقبل فمرقس البشير يقول: فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله انه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الانسان ابن الله» (مر ١٥: ٣٧ و٣٩) ويوحنا الحبيب يصف كيف ان «واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء» ثم يقول «والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا أنتم

به» وليست هـذه كلمات رجل ساذج أو مخدوع فان قائد المئة قد ابلغ بيلاطس رسمياً مقرراً موت المسيح (مر ١٥:٤٤) ويوسف الرامي أخذ المسيح الميت وكفنه بالكتان ووضعه في القبر وكانت مريم المجدلية ومريم ام يسوع تنظرانه وليس بين كتّاب العهد الجديد فرد الا ويقرر وقوع موت المسيح كما انه ليس في ثنايا سفر اعمال الرسل صوت قد ارتفع بالشك في صلب المسيح أجل لم يسمع مثل هذا الصوت حتى مضت عدة عصور ومن ثم جرؤ البعض على ان يشكوا في هـذه الحقيقة التاريخية ويعلموا الناس «خرافات مصنعة» ولكن العلامة القدير الحاخام يوسف كلوزنر وهو عالم يهودي عصري قد قرر في كتابه الاخير عن يسوع الناصري بعد انتقاد مر لوثائق هـذه المأساة ان الاناجيل هي سجلات معتمدة وان يسوع الناصري قد عاش ومات وفاقاً لنصها

كذلك جمع صموئيل ستوكس منذ بضع سنين

الوثائق اليهودية والوثنية المدللة على صحة التآليف المسيحية [١] وربما يوجد اناس يصدقون اقوال بليني وتاسيتوس ولوسيان ويوسيفوس وحتى كلسوس لانهم وان كانوا غرباء جميعاً عن المسيحية ولكنهم يؤيدون الانجيل الذي فيه يشكون. فتاسيتوس [٢] يقول في كلامه عن حريق رومة في سنة ٦٤م وعن الوسائل التي استعملها نيرون ليزيل عن نفسه شبهة احراق المدينة انه لكي ينجح في (كتم) هذه الاشاعة حبس في قصره أولئك الناس المكروهين لدى العامة لجرائمهم السرية كمجرمين

(١) انظر كتاب شهادة قدماء الوثنيين لصحة كتاب الله الثمين

(٢) «مؤرخ مشهور ومن افصح خطباء الرومان. ولد نحو سنة ٥٥ م وانتظم في سلك الجندية في حكم الامبراطور فبسيانوس (٦٩—٧٩ م) وفي سنة ٧٨ تزوج من ابنة يوليوس اغريكولا القائد الشهير وفي سنة ٨٨ م ترقى الى منصب (برايطور) قاضي قضاة وفي سنة ٩٧ م في حكم منيرفا صار قنصلا على انه اشتهر بسجلاته التاريخية التي ضمنها تاريخ الامبراطورية الرومانية من موت اغسطس في سنة ١٤ م الى موت نيرون في سنة ٦٨ م في ستة عشر مجلداً» المترجم

وعاقبهم بجميع ضروب العذابات الوحشية فقال : «أما أولئك الناس فكانوا يلقبون انفسهم بالمسيحيين نسبةً الى شخص اسمه المسيح كان قد حكم عليه الوالي بيلاطس البنطي بالقتل في عهد طيباريوس قيصر. فتوقف سريان خرافات المسيحيين الوبائية في جسم الامبراطورية مدة من الزمن ثم عادت فانتشرت ليس في اليهودية فقط حيث نبع هذا الشر بل في روما نفسها حيث تلتقي جميع انواع العار وضروب القتل والجرائم وتصير عادية (مودة) ففي الاول كان يلقى القبض على البعض ويكرهون على الاعتراف وباقرارهؤلاء كان يلقى القبض على اناس كثيرين ويحكم عليهم لاجل عدائهم للجنس البشري اكثر من كونهم قد تعمدوا احراق المدينة ليس بالاعدام فقط بل بالقتل مع صنوف العار والهوان وكانوا يلبسون جلود الوحوش ويتركون لافتراس الكلاب المجوّعة أو يعلقون على صلبان اشعلت فيها النيران ومتى زال نور النهار يحرقون كمشاعل تنير دجى الظلام» اه. ويقول لوسيان الذي ولد في ساموسطا

في سـنة ١٠٠ م[١] في احدى كتاباته المسماة «موت بيريجر نيوت» ما يأتي: «ان المسيحيين لا يزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذي صلب في فلسطين لانه ادخل الى العالم هذه الديانة الجديدة .... وان هؤلاء المفتونين قد اقنعوا نفوسهم بانهم لن يموتوا بل يخلدوا الى الابد ولهذا السبب تراهم يستخفون بالموت وكثيرون منهم يسلمون طواعية واختياراً وكذلك فان مشرعهم الاول قد علمهم بانهم جميعاً اخوة الواحد للآخر حالما ينبذون آلهة

(١) هو احد اعاظم مؤلفي اليونان واشدهم حذقاً واصالة رأي ولا عجب فهو سامي الجنس لا التربية روماني التبعة لا الوطنية يوناني اللغة لا المولد وقد احاطت به ظروف مكنته الى حد كبير من ان يتحرر من كل قيد وعلاقة بل من أي حائل جنسي كما ساعدته اسفاره العديدة على غزارة مادته ومطالعاته الكثيرة على الاستشهاد بكتب القدماء لايضاح عباراته أو اثباتها وكان يرمي في كتاباته على ما يظهر — وهي عبارة عن محاورات كتبها بلغة يونانية فصحى تناول فيها مختلف المواضيع واساطير القدماء والفلسفة والتاريخ — الى رد الناس عن معاصيهم وخرافاتهم وتقليل اعجابهم بمهازل المتحذلقين وسفسطة المتفلسفين بلهجة انتقادية هجائية مضحكة على ان بعضها كان ضد الدين والآداب على خط مستقيم» المترجم

اليونان ويعبدون ذلك الصوفي المصلوب ويعيشون حسب شريعته»

ثم ان العبارتين الشهيرتين الواردتين في تاريخ يوسيفوس معروفتين جيداً وبالارجح حقيقيتان. ومع هذا تاريخ يوسيفوس في احوال كثيرة يدعم ترتيب الانجيل التاريخي. فان «هيرودس الكبير وارخيلاوس ابنه وهيرودس انتيباس وهيروديا وابنتها سالومى ويوحنا المعمدان وحنان وقيافا وبيلاطس البنطي وفيلكس الوالي وزوجته اليهودية دروسيلا وفستوس وهيرودس اغريباس وبرنيكا والفريسيين والصدوقيين جميع هؤلاء يظهرون في تاريخ يوسيفوس في نفس العلاقات الواحد للآخر التي نقرأ عنها في كتابات العهد الجديد

اما كلسوس الابيقوري فكان من الد اعداء المسيحية حوالي سنة ١٧٠ م ولذا فهو يشير باستهزاء في كتابه المسمى (البحث الحقيقي) — كما ورد في دفاع اوريجانوس — الى آلام المسيح بقوله: «يا ابتاه ان امكن

فلتعبر عني هذه الكأس» ويتكلم عن الذين صلبوه بقوله «اولئك الذين صلبوا الهكم» ويهاجم الاعتقاد المسيحي القائل ان المسيح «احتمل هذه الآلام لاجل خير البشرية» ويشير الى الملائكة الذين ظهروا عند قبر يسوع ويتكلم عن الملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر ويحاول ان يظهر جهالة اعتقاد المسيحيين بقيامة الجسد ويضحك على قول المسيحيين : «صلب العالم لي وانا للعالم»

فهذه الشهادة لموت وقيامة الرب من احد اعداء الانجيل لها اهميتها الخطيرة

وهنا لا نستطيع ان نختم هذا الفصل الا بالقول انه اذا كان ثمت من دليل عن اية حادثة في التاريخ البشري فان هذا الدليل هو عن حادثة صلب يسوع المسيح . وفوق ذلك فان لنا برهاناً قوياً آخر في ممارسة خدمة العشاء الرباني وحفظ يوم الرب فان كسر الخبز وشرب الكأس يرجعان بنا الى الليلة التي اسلم فيها السيد وهو نفسه الذي رسمها وان ممارستها العامة في جميع الكنائس

المسيحية على الرغم من الاختلاقات في انظمة الطقوس وشروحات الخدمة لبرهان ضمني على موت المسيح وممارسة هذه الفريضة بكيفية دائمة لهي نوع من البرهان التاريخي الذي لا يمكن نقضه كما يمكننا ان نستعمل مثلاً ذكرى مأساة المحرم في الاسلام كبرهان على موت الحسين شهيد كربلا اذا لم يكن لدينا الوثائق التاريخية لاثبات هذه الفاجعة

لقد قال السيد المسيح انه «رب السبت ايضاً» واثبت هذه الحقيقة بواسطة كنيسته اذ بدأت تحفظ — بعد موته وقيامته حالاً — اليوم الاول من الاسبوع بدلاً من اليوم اليهودي السابع وهكذا فان يوم الرب نفسه هو برهان على موت المسيح وقيامته

كذلك فان لكل دين من الاديان الكبرى شاراتها الخاصة بها كالنجم لليهود وزهر البشنين للبوذيين والهلال للمسلمين الخ اما المسيحية فشارتها الخاصة هي الصليب

ولكن كيف صار هذا الصليب رمز الشرف

والشهامة بل الرحمة وامل الرجاء بعد ان كان علامة للانحطاط والاستهزاء بل للعار والجريمة والم اليأس؟ لا جواب على ذلك الا عن طريق الذي قد تعلق ومات على خشبة الصليب وافتدانا من لعنته

واخيراً فاذا كان يوجد بعد كل ما تقدم من لا يزال في شك في تاريخية هذه الحقيقة الجوهرية لتعاليم العهد الجديد فلنا شاهد قوي في سراديب وقبور المسيحيين الاولين إذ نرى هنالك تلك الاحجار الصماء تصرخ قائلة: ان المسيح قد مات

بل اعجب من كل ذلك ما اخبرنا به امرسون الفيلسوف الامريكاني المشهور عن كارليل الكاتب الانكليزي القدير انه قال وهو يشير بسبابته الى كنيسة بلدته في اسكوتلاندا لدى أول مقابلة لهما: «لقد مات المسيح على الصليب — فبنيت هذه الكنيسة — فالتقينا معاً. فالصليب هو محور الازمنة وقيمة هذه بالنسبة الى بعدها عن ذلك المحور او قربها منه»

وبعد فهل نحتاج الى براهين اخرى لايماننا. ان غرور الالحاد لم يستطع ان يسير الى ابعد من تلك النظريات التي قدمها لانكار تاريخية التعليم المسيحي على حياة ربنا يسوع المسيح وموته وقيامته ولكن المسيح مات وقام حسب الكتب وقد انبأ الانبياء بموته وسجل الرسول مأساة صلبه بل ان الكتاب المقدس بجملته يتجه نحو الفداء وكل اسفاره تشهد لمخلص ممات ورب مقام. ان الشيء الاساسي الموجود في كل اجزاء الكتاب المقدس وهو لب بشارته هو الجواب على السؤال الذي سبق ايوب فسأله مرتين — كيف يتبرر الانسان عندالله؟ والجواب — بواسطة موت المسيح الكفاري فقط. ليس من طريق آخر ولا من انجيل آخر فاذا كان ايماننا هذا خطأ كانت مسيحيتنا بجملتها باطلة لان البشارة الوحيدة التي لنا هي ان المسيح قد مات من اجل خطايانا وقام لاجل تبريرنا

نعم وان كنا

ما وقفنا عند قبرك او سألنا من ملاك
اين انت يا يسوع هل نقلت من عداك

ما جلسنا في رواق او شهدنا رفقاك
يرفعون الطرف لما جئت ترقى للسماك

غـير اننا نقول بالصـليب للانام
اذ لنا الاملاك قالت «هللويا الرب قام»

# الفصل الثالث

«و يغطون وجهه»

« بعرقك الدامي المتجمد و روحك المتألمة
برأسك المكللة بالاشواك وقد هرسها القنى
بعينيك المتدفقتين بالدموع واذنيك الممتلئتين بالسباب
بفمك المبلل بالخل والمر ووجهك الملطخ بالبصاق
برقبتك المنحنية من حمل الصليب وظهرك المحروث بجراح الجلد وعذابات السياط

بيديك المثقوبتين وقدميك
بصرختك الحادة. ايلي ايلي وقلبك المطعون بالحربة
بالدم والماء الجاريين من جنبك
بجسمك المكسور ودمك المسفوك
اغفر سيدي آثام عبدك واستر جميع خطاياه »

الاسقف لانسيلوت اندروز

# الفصل الثالث

« ويغطون وجهه »

(لو ٢٢:٦٤ ومرقس ١٤:٦٥ ومت ٢٦:٦٨)

ان آلام المسيح من الوجهة التاريخية قد انتهت كلية فقد مات مرة واحدة عن الخطية ولن يموت ثانية اذ « لا يسود عليه الموت بعد» اما من الوجهة المجازية فان آلامه باقية ابداً. ان حدوثها يتكرر دائماً في صَب البشرية من هذه الوجهة المجازية فنحن نصلبه ثانية ويسوع المسيح انما يُسلم كل يوم ويترك. ينكر ويغطى وجهه ويبصق عليه ويلكم يستهزأ به ويجلد ثم يصلب

ان كل حادثة في قصة آلامه رمزية ومن الوجهة المجازية الروحية كنا نحن موجودين معه عند ما مات من اجل خطايانا حسب الكتب وعليه يقول بولس الرسول «مع المسيح صُلبت» وهنا صدق الشاعر هوراتيوس بونار عند ما قال على لسان كل واحد منا

حقاً لقد سلمت ر ب المجد للفجارْ
ودمه اهدرته فوق صليب العار

---

وبين من جاءوا انا هزأت بالمسيحْ
وبيدي سمرته فزدته تجريح

---

وبلساني خنت من أحيا الورى بالعطف
مشاركاً من وقفوا ينغضون الطرف

---

وإذ علا صراخهم صوتي علا الجميع
بالقول ذا مشاغب يضلل الجموع

---

في غفلتي هزأت بالْ فادي مسيح اللهْ
اذ قلت انزل أرنا ان كنت ابن الله

---

وعند ما قال كملْ مُسلماً للروح
طعنته بحربة فازدادت الجروح

« والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه . وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ : من هو الذي ضربك ؟ «فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ . وكان الخدّام يلطمونه »

ان نوابغ المصورين قد صوروا تقريباً كل حادثة جرت للمسيح في اسبوع الآلام عدا هذه ومع ذلك فان المنظر فريد جداً ومؤثر للغاية حتى ان الانسان ليعجب كيف فات هؤلاء الفنانين محاولة رسم صورته بريشتهم لاظهار معناه العميق الخالد . لقد وقع هذا المنظر في داخل دار قيافا قبل الفجر . وكان نور القمر الكامل يفيض على المكان والنيران التي أوقدت في العراء كانت ترمي اضواءها وظلالها على داخل الدار وكان المسيح المغطى الوجه جالساً وسط جماعة ملؤها البغض الاعمى

وربما كان خدام السنهدريم وحاشية رئيس الكهنة وكل الباقين يهوداً من جنس المسيح . وكانوا يعرفونه

وقد سمعوا تعاليمه وشهدوا عجائبه وقد «رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض منه» وهو في البستان اما الآن فانهم «يغطون وجهه» ويستهزئون به فاية ظلمة هذه غطت هذه القلوب التي استطاعت ان تعمل مثل هذا العمل او تحتمل رؤية عمله. اي فقدان كامل للشعور بالحق والمحبة اي عمى لجمال القداسة اية عقول ساقطة بل اية ضمائر غليظة وهذا انما فعلوه بيسوع الناصري الذي فتح عيني الشاب الذي ولد اعمى. أجل غطوا وجهه فهل كان ملخس معهم وهل اشترك معهم قيافا في فعلهم؟ هل رأى بطرس شيئاً من هذا المنظر المفجع قبلما خرج خارج وبكى بكاء مراً؟ لقد كتب بعد ذلك عن هذه الليلة المريعة عند ما «كان واقفاً يصطلي» —(وروحه ترتعش)— قائلاً: «فان المسيح . . تألم . . . الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش الذي اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً واذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل . . . الذي بجلدته شفيتم» أجل لقد رأى بطرس هذا المنظر المؤلم ولو

عن بعد فكسر قلبه العار والالم وكانت نظرة المسيح الاخيرة-- قبل ان يغطى وجهه — على بطرس اذ انكره هو ايضاً امام هؤلاء الخدام

ومهما كان وصف هذه الحادثة قصيراً فاننا نستطيع ان نقرأ بين السطور جبن وظلم بل ومرارة حقدهم على المخلص. ولماذا افتكروا في تغطية وجه يسوع اليس لان عينيه كانتا مملوءتين بالتعجب المقدس من عدم ايمانهم والعطف على حماقتهم وخطيتهم وفي الوقت نفسه كانتا تسطعان بهذا النور الذي جعل ضمائرهم تتلظى كلهيب نار وهكذا لم يستطيعوا ان ينظروا الى وجهه ولذا — كما يقول مرقس البشير فانه عند ما « ابتدأ قوم يبصقون عليه » غطى آخرون وجهه وبدأوا يلكمونه فجبنهم كان معادلاً فقط لبغضهم له فلطموه وهزأوا به «واشياء اخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين» وبغضهم له كان غير معقول فقد طلبوا برهاناً دون ما حاجة الى برهان وظنوا انهم يحطون النبوءة الى دركة قراءة الافكار وبواسطة

الكمات يجعلون المسيح يشير الى خطية فردية وكلهم في التجديف مجرمون « تنبأ من هو الذي ضربك ؟ » ولكن لم يكن فرد واحد الذي ضرب المسيح بل كان الجنس مجتمعاً بل الانسانية جمعاً . بل كان مصاباً ومضروباً من الله فسترنا عنه وجوهنا او عند ما لم نستطع نحن ستر وجوهنا عنه سترنا وجهه هو وغطيناه . ان كل جبن العصور في الكفر والالحاد قد تمثل في هذه الحادثة فبعض الناس كانوا خائفين دائماً وبالتالي غير راضين ان ينظروا الى وجه المسيح ، ويحاول البعض الآخر ان يهربوا من المسيح في التاريخ باعلانهم ان قصته خرافة ، او يرفضوا ان ينظروا الى المسيح وجهاً لوجه ، وكم من كتب تاريخية مقبولة او كتب مدرسية متداولة قد غطت وجه يسوع بجملة اعتذارية غير لائقة للمقام بالكلية

والالحاد انما يغطي الكتاب المقدس باقفال جلدتيه ومنع رسالته من وصولها الى الشباب او تركه — على الرف — ككتاب ثمين يتكلم عنه كل انسان ولا يقرأه

احد . والناس طالما غطوا وجه المسيح على منابر الوعظ او في الكنائس ثم هزأوا برتبة كهنوته ومجد ملكوته وعند ما يغطي الالحاد واللاأدرية وجه المخلص يضربانه على وجهه — ففولتير ونيتشه ورينان وغيرهم ممن هم على شاكلتهم في العقل والقلب لا في الشهرة جميعهم اتفقوا على ان يغطوا وجه يسوع المسيح اولاً ثم ينكروا لاهوته ويستروا وجهه ثم يلطموا مجده

ان بلدة تجوير مسقط رأس رينان هي بلدة صغيرة مبنية على رابية عالية تطل على نهر الجودي بفرنسا وهي مشهورة باديرتها القديمة وتدين اهلها اذ يرى المسافر على مينائها نصباً عالياً عليه ثلاثة صلبان ضخمة كتب على قاعدة أوسطها هذه الجملة بثلاث لغات : «حقاً كان هذا ابن الله» وقد اقيم هذا النصب اعتراضاً على تشريف رينان باقامة تمثاله في ميدان كاتدرائية مسقط رأسه

ان قراءة وصف الانجيل عن حادثة تغطية وجه المسيح هذه لأمر مؤلم ولكنه اكثر ايلاماً ان نرى الناس

قد غطوا وجهه مراراً وتكراراً مدة هذه العشرين قرناً ثم هزأوا به وهل آلم للنفس بل اشد الحاداً من الكلمات التالية لنيتشه : ان الانجيل مات على الصليب وما سمي بالانجيل بعد ذلك انما هو عكس الانجيل الذي عاشه المسيح . فهو ليس بشارة مفرحة بل خبراً سيئاً ليس انجيلاً بل عكس الانجيل » ومع ان نيتشه يتساهل احياناً في كتاباته عن المسيح وقلما يرمي مطاعنه ضد من يسميه « المؤسس لاحدى الشيع اليهودية الصغيرة » فهو يكره اسم النصرانية ويبغض بولس الرسول كشارح لانجيلها

ان البغض الناشيء عن عدم الايمان ظاهر اليوم كما كان في محكمة قيافا. لان الناس لا يستطيعون ان يضبطوا تيار افكارهم عن المسيح لان وجهه يربط النظر وعينيه كلهيب نار فهو اما يجذب الآن او يدفع كما فعل في الماضي.

أهذا هو الوجه الذي من جلاله
تخرُّ له الاجناد في العرش سجدا ؟

فهذا اكليل قد تشوه بالقنا
وليست به روح تشع لنا الهدى ؟
فكيف نراه مظهر الحب للورى
وكيف يمنينا بحبٍ تأيدا ؟
وكيف يُرضي خالقاً خنا عهده
ويُرضي له عدلاً من البدء سرمدا ؟
اجل ! انه الوجه الذي اكمل الفدى
بان ذاق عاراً بل صليباً من العدى ؟

ان قديسي العهد القديم اشتهوا ان يروا مجد الله في وجه مسيحه . فقد كان هذا صلاة موسى وشوق اشعياء ورجاء داود فقد طلب موسى من الله قائلاً «ارني مجدك» «وان لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا» وقال داود مراراً «الى متى تحجب وجهك عني ؟ واضيء بوجهك على عبدك» و «لا ترد عني وجه مسيحك لا تحجب وجهك عني او اصير كالهابطين في الجب»

ولما رأى اشعياء مجده وتكلم عن آلامه تنبأ بمأساة

هذا اليوم الرهيب قائلاً : «بذلت ظهري للضاربين وخديّ للناتفين . وجهي لم استر عن العار والبصق» «رجل اوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا. محتقر» «ولكن آثامكم فصلت بينكم وبين الهكم وخطاياكم حجبت وجهه عنكم» لقد غطوا وجهه حتى تتم الكلمة التي انبأ بها اشعياء قائلاً : «من هو اعمى الا عبدي واصم كرسولي الذي ارسلته ؟ من هو اعمى كالكامل واعمى كعبد الرب»

إنا عند ما نتأمل في هذه الكلمات نبتدئ ان نحقق مقدار ما وقع على يسوع من التأثير عند ما غطي وجهه وهكذا اختبر على نفسه وفي نفسه كل غباوة وعمى الالحاد العمدي لله ورسله . ان ريبة الالحاد ليست بنت امس—فان الناس من بدء التاريخ الى اليوم يطلبون الآيات من الذين يشهدون لله

فاذا قال لهم احد الانبياء آمنوا بالله. سألوا اين آياته ؟ واي العجائب عمل ؟ لماذا نصدق قوله ؟ متى تمت نبواته ؟

كما قال اشعياء : «من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب ؟»

اننا كثيراً ما نحول وجوهنا عن المسيح او نغطي وجهه و نبقى غير مقتنعين بخطايانا وغير مبكتين عليها . وها خدام رئيس الكهنة لم يروا شيئاً اما بطرس فقد جرحت ضميره نظرة واحدة واستطاع ان يندم لانه لم يغطوجه المسيح وهكذا الحال دائماً. وما احسن ما كتب جرمي تايلور في موعظته عن ايمان وصبر القديسين اذ قال :

«ان المسيح لم يمت موتاً فجائياً ولا مات مرة واحدة بل كان حمل الله المذبوح قبل تأسيس العالم . اذ قتل في هابيل ولطمه الغمر في الفلك مع نوح . هو الذي خرج من عشيرته عند ما دعي ابرهيم من حاران وتغرب عن ارضه . هو الذي قدمّ في اسحق واضطهد في يعقوب وبيع في يوسف واهين في موسى . واعمي في شمشون ونشر في اشعياء وطرح في الجب مع ارميا لان جميع

هؤلاء كانوا رموزاً عن المسيح المتألم ثم استمرت آلامه بعد قيامته لانه هو الذي يتألم في جميع اعضائه. (المؤمنين به) انه هو الذي يحتمل مقاومة جميع الخطاة انه هو رئيس الحياة الذي يصلب ثانية ويشهَّر في جميع آلام عبيده وخطايا العاصين عليه وتعييرات المرتدين عنه والكافرين به — في قساوة الظالمين وظلم السالبين بل في الاضطهادات التي تقع على كنيسته انه هو الذي رجم في الشهيد استفانوس وسلخ جلده في القديس برثولماوس هو الذي شوي على مشواة القديس لورنس وقدم الى الاسود في القديس اغناتيوس وأحرق في القديس بوليكاربوس وتجمد جسده في جليد البحيرة حيث وقف شهداء كبدوكية الاربعون. لان سر موت المسيح لا يتم الا بالاشتراك في جميع آلام البشرية واحزانها

فلا نعجب اذاً اذا غطى الناس وجه مخلصنا في هذه الايام ولكموه او شهروه وان رسالة محمد مهما كان تأثيرها

في تاريخ العرب وتأسيس التوحيد في ايام الجاهلية ما كانت في نتيجتها الا تغطية لوجه يسوع ابن الله

ان كل ديانة جديدة او فلسفة تبعد الناس عن الانجيل لا تستطيع ان تقوم الا بتغطية وجه يسوع فان الذين ينظرون في عينيه لا يحتاجون الى نور آخر والذين رأوا وجهه لا يتبعون قائداً آخر «ولكن ان كان انجيلنا مكتوماً فانما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم اله هذا الدهر قد اعمى اذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله فاننا لسنا نكرز بانفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بانفسنا عبيداً لكم من اجل يسوع . لان الله الذي قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذي اشرق في قلوبنا لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح »

ان الذين يسيرون في الظلام بعقول عمياء هم في الغالب الذين اطفأوا النور بتغطية وجه مسيح الله اولاً ومهما يكن معنى «اله هذا الدهر» فانه يشمل بكل تأكيد

قوة الشرير الذي يمنع الناس عن ان يروا مجد مخلصنا وتلك هي روح العصور التي تشمل مثل هذه الآراء المنتشرة والمبادئ العالمية والنظريات الطريفة والشهوات الجسدية والاغراض التي تفيض في اي وقت حتى تنشر جواً من الشك والالحاد يخنق كل ايمان — ان العمى يتقدم الكفر وهو سببه واساسه والعمى انما يتم بستر وجه الانجيل وابهام كلمة الله الواضحة واغماض عيوننا عن رؤية الحق

يقول المسيح «لدينونة أتيت انا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون»

وتأمل ثانية في هذه الصورة المحزنة للمسيح المغطى الوجه وهو واقف في وسط جماعة اشرار السنهدريم . امعن نظرك في ذلك الوجه المضيء بنور شمس الصباح الباكر والالوهية المسجونة وهو يسيل دماً ويلكم ويغطى . قال المرنم: «انظر الى وجه مسيحك» وهنا نرى ذلك الوجه مثالاً حقيقياً للمخلص المتألم — «هوذا الانسان»

مربوطاً ومنهوكاً مهاناً ومجروحاً ومع ذلك فهو صامت بصمت المحبة المتألمة — « تنبأ من هو الذي ضربك » والجواب ينبغي لنا ان نلقاه في ضمائرنا

أنر الهي دمس ليلٍ ولسكناك القلوب
نقها من كل رجس وازل منها الذنوب
والق عنا كل ثقل واهدنا حتى نتوب

ولكن المسيح ما تألم ليفدينا من الخطية ولعنتها فقط ولكنه تألم ليترك لنا مثالاً حتى نتبع خطواته ففي كل حادثة من حوادث الآلام نرى حامل صليب العالم العظيم يصرخ في آذاننا دائماً قائلاً : اتبعوني عيشوا بشجاعة وبجرأة دون (حفلطة) اقبلوا الطين والوحل الحرارة والبؤس المقاومة المؤلمة والتوبيخ اللاذع اسكتوا امام مضطهديكم واصبروا وثابروا لاجلي ولاجل الانجيل لا ترفضوا ان تشربوا معي كأس الفشل وان كان -- كما هو في غالب الاحايين — اشد مرارة من كأس الموت فانه ألم الهزء والهوان الذي يسبق ألم الصليب . وإنا عندما نذكر محكمة قيافا

ويسوع المغطى الوجه الذي احتمل مقاومة الخطاة لا نفشل ولا يغشى علينا من التوبيخ او السخرية والعار «طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين افرحوا وتهللوا لان اجركم عظيم في السموات . فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم »

فان هذه آخر واعظم التطويبات السبع انها تطويبة الذين يتبعون المسيح طوال الطريق الى النهاية من جثسيماني الى الجباثة ثم الى الجلجثة

لاربح في الدنيا بغير خسار

او من خلاص دون صلب الفادي

فالحب لا ينمو ويزهو مثمراً

حتى ترى موت البذور البادي

والمرء لا يرقى ويحيا للسما

حتى تراه جثةً في الوادي

فالعيش موت والحياة خسارة

ان لم تقاتل للمسيح عوادي

# الفصل الرابع

(١) « فأوثقوه »

(٢) « و بصقوا عليه »

« هوذا الشرط الاساسي لادخالنا في جمعية اصدقاء الله السرية : ان نقف مع المسيح امام محكمة اهل العالم حتى نقبل ذات الاهانات وضروب الشتائم التي احتملها هو — سواء أكانت صادرة من ديانات العالم او من مدنياته او من سلطاته ومقاييسه الاصطناعية التي تقضي على الحقيقة قضاء تاماً. وذلك لاننا بمجرد اقرارنا بعدم استطاعة العالم ان يهبنا الملكوت الغير الملموس — نعلن تباعدنا عن العالم وكل متعلقاته . فالعالم طبعاً يجلس في كرسي القضاء مستعداً ان يقمع العاصي الذي لا يقبل حكمه . فجهل العالم وجبنه وكسله هم هيئة القضاة الذين يحكمون على المؤمنين كما حكموا مرة على اول بني البشر واطهرهم وابرعهم جمالا»

جون كوردلير (اللاهوتي الكاثوليكي)

في كتابه

« طريق الحكمة الابدية »

# الفصل الرابع

## (١) «فأوثقوه»

كما حمل اسحق الحطب الى جبل المريا حمل يسوع الصليب الى جبل الجلجثة وكما أوثق اسحق ووضع على المذبح أوثق يسوع كي يوضع على الصليب اذ يقول الكتاب «فلما اتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك أبرهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب» (تك ٢٢:٩) فليس دون ما سبب اذاً أن الآراء اليهودية في كتاب المشنا — اي كتاب الاحاديث اليهودية — اتجهت نحو حادثة ذبح اسحق وقدرت ما لواقعتها من الاهمية العظمى بان جعلتها اساس التذكار السنوي العظيم لهذه الحادثة التي وقعت على جبل المريا. والى اليوم نرى اليهود يتلون في رأس سنتهم صلاة (العقدة) او الربطة هذه قائلين:

«اذكر لنا ايها الرب الهنا القسم الذي أقسمته لابينا

ابرهيم على جبل المريا واحسب لنا ربطه لابنه اسحق على المذبح عند ما اخمد نار محبته الابوية ليفعل مشيئتك بقلب كامل وهكذا فلتخمد محبتك نار غضبك علينا وبرحمتك العظمى لنا يرتد حمو غضبك عن شعبك ومدينتك وميراثك . . . اذكر في مراحمك اليوم لنسله ربط اسحق» ويقول الدكتور لاندسبرج «وزادت اهمية «العقدة» على مر السنين فان كتب اليهود القديمة ملأى بالاشارة اليها وقد أضيف في الصلوات الصباحية طلب المغفرة من اجلها كما اضيفت قطعة اسمها «العقدة» الى صلوات كل يوم من أيام التوبة بين اليهود الالمانيين»

فهل كانت هذه الصلاة مستعملة في أيام المسيح ؟ اذ كانت الذبائح توثق برُبُط الى قرون المذبح (مز١١٨: ٢٧) كما تتلى صلوات مخصوصة عند ربط مثل هذه الذبائح ومهما كانت العادة المتبعة بالنسبة لذبائح الهيكل فربما خطر لبعض التلاميذ عند ما رأوا ايثاق يسوع في جثسيماني

ان حمل الله كان يساق الى « الذبيحة العظمى » التي كانت حادثة ربط اسحق وخلاصه رمزاً لها

ان ثلاثة من البشيرين الاربعة يشيرون الى حادثة ربط يسوع في البستان وامام بيلاطس اشارة خاصة متكررة فيوحنا الحبيب مثلاً يقول عن الواقعة الاولى: ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به الى حنان اولاً . . . وكان حنان قد أرسله موثقاً الى قيافا رئيس الكهنة حيث استهزئ بيسوع ولطم وجهه وبصق فيه ثم «لما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فاوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي (مت٢٧: ١و٢) ويقول مرقس البشير « تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فاوثقوا يسوع ومضوا به الى بيلاطس »

فالحادثة الاولى اذاً ان السيد الرب بسط يديه كي يوثقا تحت ظلال اشجار الزيتون في جثسماني فان مظهر

مقاومة بطرس بضربة سيفه الطائشة كانت كافية للجند فربطوا يديه اللتين مدتا لشفاء ملخس (كآخر حادثة لهما قبل ربطهما) بحبال وراء ظهره و «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا» وهكذا انتهى المنظر الاول في فاجعة تلك الليلة المريعة ولم تكن الطريق طويلة حيث سيق يسوع الموثق الى نفس الباب الذي كان قد خرج منه وتلاميذه بعد ما اكلوا الفصح ثم الى بيت حنان رئيس الكهنة الاسبق ثم تركه العسكر بعد ما فكوا وُثقَه ومضوا الى مراكزهم اذ لم ترد في الانجيل اية اشارة عنهم بعد ذلك وهنا اختبر يسوع امام حنان وقيافا كل غرائز الحقد والحسد التي كان عليها «ابناء هرون الوقحين الفاسقين الخونة المتعجرفين الادنياء» الذين ما ذكر معاصروهم اسماءهم الا بهمس اللعنات. هنا أصابت يسوع اول لطمة على وجهه من احد الخدام الواقفين بقبضة اليد او بعصا وبعد المحاكمة الصورية بالشهود الزور وسبق الاصرار على الحكم عليه بالموت كما نقرأ في انجيل لوقا جنى حراس

قيافا الاشرار وخدامه الادنياء على ذلك السجين العاجز بقساواتهم المفزعة وفظائعهم المريعة ومع ذلك فتلك الاهانات والتعييرات واللكمات التي وقعت على شخص ذلك المتالم المنبوذ (ليس العاجز بل الغير المقاوم ليس المقهور بل الغير المخاصم ليس اليائس بل المهوب في خضوعه التطوعي لأعلى مرامي المحبة) قد اظهرت أحط دركات اثم ولعنة البشرية ولكنها في الوقت نفسه قد ازالت ذلك الاثم وتلك اللعنة وذلك لوقوعها على شخص المسيا ابن الله وهكذا طول مدة رفض المسيح من خاصته طول مدة احتقارها القاسي له ونفثها كل حقدها عليه ظل يسوع موثقاً على انه منذ تأسيس العالم لم تُربَط يدان مثل هاتين او توثق بالاغلال والقيود . وكانت قصص تقييد الايادي المذكورة في اسفار العهد القديم ماثلة في ذهن السيد. وهل كانت هذه ايضاً ماثلة في ذهن مضطهديه؟ هل قدم شمعون يديه طواعية واختياراً عندما قيده يوسف اخوه رهينة حتى يرى اخاه بنيامين ؟ وطالما أوثق شمشون

الجبار المرة تلو المرة ولكنه كان يهزأ بموثقيه كل مرة سواء كان الوثاق حبالاً جديدة او اوتاراً طرية فانه كان يقطعها « كما يقطع فتيل المشاقة » ولم يغلب قط حتى ترك الرب فتركه . وأوثق ارميا بحبال والقي في جب الوحل ولكن الرب انقذه. كذلك انقذ رفاق دانيال الثلاثة عند ما « سقطوا موثقين في وسط اتون النار المتقدة » . كل هؤلاء اوثقت اياديهم ولكنها كانت ايادي بشرية اما يسوع فكان كالشخص الرابع في اتون النار «شبيه بابن الآلهة» بل ابن الله نفسه . انظر الى يدي يسوع — ان تشارلس بيل في مقالته الشهيرة عن يد الانسان كدليل الخالق يصف لنا تشريحها العجيب ومناسبتها الغريبة لمهارة الانسان وابتكاره كتمييز له عن أعلى طبقات الحيوان ولكن من منا يستطيع ان يصف يدي يسوع (اللتين تقدر ان تقرأ عليهما — كما تقرأ على اي يدين اخريين — لا شخصيته الكاملة فقط بل وخلقه الكامل ايضاً) فان تلكما اليدين المربوطتين استندتا على صدر

مريم الحنون في طفولته، وبهما اشتغل — كنجار — في تشذيب انيار الثيران او عمل المحاريث لفلاحي الناصرة، وطالما مدهما السيد الرب في شفاء البرص والعرج والعمي، انهما يدا الرقة والعطف اللتان وضعتا على الاطفال الذين احتضنهم، بنفس هاتين اليدين المربوطتين الآن. صنع الرب من التفل طيناً وطلى عيني الاعمى منذ ولادته موقظاً بذلك حسد وحقد اولئك الذين بقوا في عماهم الروحي بالرغم عن عجائب المسيح واعماله. بل صنع بهما سوط الحبال ورفعه في غيرته على بيت ابيه وطرد من الهيكل الغنم والبقر وبهما اشار اشارة النهي على الذين جعلوا بيت ابيه بيت تجارة ومغارة لصوص، هاتان اليدان هما اللتان قدم بهما السيد «اللقمة» في العشاء الاخير الى مسلّمه يهوذا الخائن، بهاتين اليدين «يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضي» اخذ منشفة واتزر بها وغسل ارجل التلاميذ حتى ورجلي يهوذا، هاتان اليدان اللتان

طالما طويتا في صلواته الانفرادية على قمم الجبال واخيراً شبكتا في ألم صلاته الشفاعية في البستان، والآن فانهما اوثقتا وبعد قليل تسمران على الصليب

هاتان اليدان هما اللتان كسر بهما الخبز وقدم بهما كأس الشكر قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي . . . اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا»

والآن كان اتمام هذه النبوة العظمى والاخيرة أن يكسر جسده ويسفك دمه الذي للعهد الجديد من اجل الخطاة. «فاوثقوا يسوع!» «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون»

لقد عرف رئيس الجند عند ما شغب الشعب ضد بولس الرسول انه لا يجوز ان يجلد «انساناً رومانياً غير مقضي عليه... واختشى . . . لانه قد قيده» (اع ٢٢: ٢٦ و٢٩) أما هؤلاء فلم يخافوا. لقد سمع كاتب الرسالة الى العبرانيين عن قصة تقييد يسوع هذه من شهود عيان

وكتب عن الرجال والنساء الذين أخذوا اسرى في زمانه قائلاً : « اذكروا المقيدين كانكم مقيدون معهم » ولكن ههنا لم يكن احد يذكر قيود يسوع حتى بطرس الرسول استحى من قيوده فقال «لست اعرفه »

لكن من الذي أوثق يدي المخاص اولاً في البستان ثم في البلاط هل العسكر الروماني ؟ ان كان هؤلاء فقد قاموا بالواجب كعساكر تحت الامر. هل أضاف يهوذا لمسة الخوف هذه لجريمة خيانته الفظيعة ؟ او هل اقترح حنان ضرورة ايثاق يديه ؟ فإنا نقرأ بعد ذلك هذه العبارة «وكان حنان قد أرسله موثقاً الى قيافا رئيس الكهنة » هل كان بيلاطس غير مذنب لتركه هـذا السجين موثقاً وجلده انساناً لم يفحص قانونياً ولم يحاكم شرعاً ولم يوجد فيه عيب ؟

« هوذا الانسان »

هوذا بروميثيوس آخر (١) موثق — هوذا الآتي

---

(١) جاء في اساطير اليونان ان بروميثيوس كان انسانا صعد الى سماء الالهة وسرق النار ولذا اوثق الى صخرة

بالحياة والنار والنور من السماء دون مكر او خداع — هوذا المانح الخليقة الجديدة للانسان والواهب اسمى وأعظم هبات السماء .

ترى كيف خالوا وأنت المسيحْ
أراموا لزاماً موات الذبيح ؟
نظرتَ اليهم فـولّى الجميعْ
وعادوا لقيـد المسيّا المليح
تركت السماء لمنح الحيـاةْ
فغلّوا يديك بلؤمٍ قبيح

لمـاذا جنحتم لفعل . اللئـام
أهـذا الجزاء لحبي الصريح ؟
لديَّ ميـاه لكل العطاشْ
وزيتٌ وزاد لكل جريح
وانتم لديكم عصير المرار
وكل صنيعٍ عفنـه يفيح

ولكن جهلتم باني اتيتْ
لقهـــر الخطايا وسحق القبيح
فهيـــا بـكأس مـــلاه الالهْ
فاني صبور وعزمي صحيح.

ولكن بروميثيوس في الرواية اليونانية انقذه هرقل من قيوده وعذاباته بعد ثلاثين سنة أما المسيح فقد اوثقه حنان وقيافا ويهوذا وانا وانت وما نزال يتألم من الايثاق والسجن والصلب هذه العشرين قرناً

ان يسوع المسيح معنا اليوم بيديه الموثقتين كما يقول روبرت كبل «ان يسوع الناصري مازال الى يومنا سائراً في طرق العالم بيدين موثقتين فلا تلد الجريمة طفلاً وتدفعه كسيحاً الى عالم الويل والشقاء الا ويشرب من اجله المسيح ثانية من تلك الكأس التي لا تنتهي بالرغم عن ان مشيئة الآب بألا يهلك أحد هؤلاء الصغار تتم في النهاية. ولا يعثر شخص — شوهه الاثم وكاد يعميه الهوى — في احدى مواخير البغاء الا ويكون «يهوذا اسخريوطي»

آخر قد سلم سيده ثانية لقاء دراهم معدودة . ولا يجلس تلميذ له نخور مع خوفه في مجلس يوضع فيه اسم المسيح على المشرحة وينكره عند الحاجة الا ويجرح المسيح ثانية في بيت اصدقائه جراحاً أشد واعمق مما جرحه الرومان او اليهود. بل لا تُرسم خطط اية خطيـة تعمدية ويحكم تدبيرها وتتم في اي مكان الا ويكون صاحبها قد اعتلى صليب المسيح وطعنه في قلبه بهزء .

٢ «وبصقوا عليه»

«وبصقوا عليه» لم يتفلوا بل بصقوا عليه. ان الكلمة اليونانية المستعملة هنا كي تؤدي هذا المعنى المؤلم لهي غير الكلمة المستعملة في الاناجيل الاربعة عن استعمال المسيح للتفل في شفاء المرضى او العمي ( مرقس ٧:٣٣ و٨:٢٣ ويو ٩:٦ ) . البصق اقدم واعم انواع الاهانات وربما تعلم الانسان قديماً هذه العادة الفظيعة من بعض الحيوان كالضفدع والقط او الافعى السامة والصل المميت .

حدث لاحد زملائي في بلاد العرب وقد اشتغل

عدة سنين كطبيب مرسل واكتسب احترام وصداقة من كان يعمل بينهم من العرب ان دخل عليه ذات يوم وهو جالس في المستشفى احد السوقة المتعصبين وكان قد اتى من البادية لا لمرض به بل لكي يبصق في وجه الطبيب وعندئذ قام زميلي بغضب صحيح ورضاء جميع المرضى الذين رأوا هذه الاهانة واعطى لذلك الوقح درساً مؤلماً في الادب . ولا عجب فليس لدى الشرقي اهانة اعظم من البصق والامثلة في الكتاب المقدس على ذلك كثيرة . منها «فقال الرب لموسى ولو بصق ابوها بصقاً في وجهها اما كانت تخجل سبعة ايام» (عد ١٢:١٤) و «تتقدم امرأة اخيه اليه امام اعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت اخيه (تث ٢٥:٩) و «يكرهونني. يبتعدون عني وامام وجهي لم يمسكوا عن البصق (اي ٣٠:١٠)

وهنا لا يسعنا الا ذكر نبوءة اشعيا عن المسيح

المملوء نعمة وحقاً الذي يحتمل عار شعبه وتوبيخهم القائلة : اعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لاعرف ان اغيث المعيي بكلمة . يوقظ كل صباح . يوقظ لي اذناً لاسمع كالمتعلمين . السيد الرب فتح لي اذناً وانا لم اعاند . الى الوراء لم ارتد . بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم استر عن العار والبصق (اشعيا ٥٠: ٤—٦)

وألم يشر المسيح نفسه الى هذه النبوءة عند ما تنبأ بفاجعته المريعة قائلاً : «ها نحن صاعدون الى اورشليم وابن الانسان يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة . . . فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه» (مر ١٠: ٣٤و٣٥)

وهنا نرى احط اهانة قدمت لشخص مخلصنا المهيب وكما يقول ستوكر: توجد اشياء مخيفة في الانسان ودركات منحطة في الطبيعة البشرية لا يمكننا النظر اليها فانه بكمال المسيح وبره ظهرت احط دركات اثم اعدائه وشرهم واذ تلاحم الآن مع عدوه الذي قد جاء من السماء لكي يبيده

اظهر له ذلك العدو كل قباحته وابرز له كل حقده وغله فكانت مخالب التنين في جسم السيد ونَفَسه الكريه في وجه المخلص ولا يمكننا ان نتخيل كيف كان وقع هذا العار وتأثير هذا الهزء على عقل المسيح المهوب الحساس

من الذي اقترف هذه الفظاعة المتكررة؟ ان الانجيل يظهر ان البادئين في ذلك كانوا جماعة كهنة اليهود وخدامهم ثم عسكر الحرس (مت ٢٦:٦٧ و٢٧:٣٠)

حقاً اوروبا وآسيا الشرقيون والغربيون بصقوا بغضبهم وشدة احتقارهم في وجه يسوع المقدس «لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله» ولكن هذه الفظاعة اجريت له اولاً بواسطة خاصته الذين عرفوه جيداً وعرفوا معنى تلك الاهانة من أسفار الناموس والانبياء

فيا له من اعلان مؤلم عن مقدار ما يدنئ عدم الايمان والخطيئة تمييز البشر وادراكهم ويحط من درجة اخلاقهم. ان البصق لهو من الاحتقار وعلى ذلك فقلوبهم

المظلمة هي التي نفثت سموم غلهم ولكن هذا المنظر الذي لا يوصف قد رُسم في كلمات قليلة كاحدى صور رمبراندت المصور الشهير. حيث ترى ارضية الصورة مظلمة كالليل دلالة على ظلام القلب البشري وشره المفرط وكراهته بنذالة لكل ما هو طاهر وحسن

على انهم لم يستطيعوا ان يبصقوا على وجهه حتى اوثقوه وغطوا وجهه اولاً . وهكذا الحال دائماً والتاريخ يمدنا بالامثلة العديدة عن اولئك الذين بصقوا في وجه السيد او في وجوه تلاميذه وإنا نجد في كتاب الشهداء ليس منتهى القساوة فقط بل احط دركات الاهانة والاحتقار التي شعر بها بولس الرسول عند ما كتب « صرنا كاقذار العالم ووسخ كل شيء الى الآن» . وبينما كان القديس برنارد يرنم

«اسم يسوع قد حلا لمسمع المؤمن
يشفي جراح المبتلي والخوف يستأمن»

كان غيره يُرغمون على ان يجدفوا على اسم المسيح

بواسطة عذابات محكمة التفتيش وفظائع الحروب الصليبية وكم من مرتد وملحد وكافر قد نفثوا حقدهم واستهزاءهم ضد يسوع فانه لا توجد عداوة اشد من عداوة المرتد من ايام يهوذا الاسخريوطي. فقد كان نيرون ظالماً في اهراقه دم المسيحيين ومع ذلك فانه لم يظهر شيئاً مثل شدة الغضب التي اثارها ضد اتباع المسيح ذلك المرتد الامبراطور يوليانوس الذي آمن بيسوع ثم انكره. ولنا في جبون المؤرخ الشهير مثل آخر اذ كان عضواً في الكنيسة الانجيلية فعضواً في الكنيسة الكاثوليكية ثم هجر الثانية كما ترك الاولى. اما نيتشه فقد سقط الى احط دركة حتى انه نطق بتعبيرات بذيئة عن المسيح لا يمكن وصفها الا بالبصاق قائلاً: «اني ادعو المسيحية اللعنة الوحيدة الكبرى والضلال الداخلي الهائل بل السليقة الفريدة العظمى للاخذ بالثار التي ليس في الوجود وسائل اكثر سماً او اعظم خفاء وستراً او اشد حقارة من وسائلها. بل

اني ادعوها العيب الابدي للانسانيـة» . فهل يمكن ان يصل الحقد البشري و بغضته الى أبعد من هذا ؟

العار روحي قطّعا والجسم قد تمزّقا
من حقدهم وجبنهم وصلبهم تخزقا

لكنّ اقسى كل ذا وطعن جنبي بالمدى
ان عيروني موثقاً وسلموني للعدى

لبصقهم وهزءهم كي لا يكون في الدنا
فرد بريءٌ في القضا فهل رأيت حزننا ؟

غير أننا نلاحظ أيضاً في هذا المنظر للمسيح المهان اهميـة الـكراهة الشيطانيـة المطلقة وشعور المخلص الانساني بالانتصار ويقينه من الغلبة . الم يقل « طوبى لـكم (وألم يشعر بهذا أيضاً ) إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا ... فانهم هـكذا طردوا الانبياء الذين قبلـكم»

هوذا الانسان ! فان المسيح — تألم لاجلنا تاركاً

لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته فانكم « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » ذاكرين ذاك « الذي اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً » كما قال احد اباء الكنيسة القدماء

من هذا الذي يتألم ؟
انه المسيح كلمة الآب وحكمته
بما يتألم ؟
بالشوك والجلد والبصق والصليب
بما ان الله يتألم هكذا
تعلم انت ان تتألم بصبر مثله

# الفصل الخامس

« اقتسموا ثيابه »

ان ما نراه هنا هو روح الحكمة الازلية. السر الكائن في قرارة الحياة انه الكلمة الذي يتخلل كافة الاشياء بكيفية دائمة وإنا انى ما نظرنا نرى — وراء رداء الطبيعة وجلباب الفن وراء الدين والعلم بل وراء الجمال والحب (في ربوات انواعه) عند ما لا يبقى سبيل ويسد كل وجه — نرى هذه البطولة المقتدرة محتملة الى النهاية. معصورة بالالم ومنهوكة الى دركة الضعف والصغار لاجلنا غير مبقية على امر قد تنال به ارواحنا الضالة نوراً اكثر. ان اللاهوت المطلق واللامدرك الذي في فكره نسكن هو المعرى هنا عن ثيابه والمعرض لنظرات كافة عيون سائر خلائقه الغير المدركين من احباب واعداء واشرار واخيار على السواء؟

جون كوردلير
في كتابه
«طريق الحكمة الابدية»

# الفصل الخامس

« اقتسموا ثيابه »

(مز ٢٢:١٨ مت ٢٧:٢٨ و ٣٥ مر ١٥:٢٤ لو ٢٣:
٣٤ ويو ١٩:٢٣ و ٢٤)

تعرية المسيح !

ان البشيرين الاربعة يشيرون الى هذا الاختبار المريع الذي ذاقه مخلصنا يسوع المسيح — فيشير اليه مرقس البشير الذي هرب نفسه من الشبان عرياناً في البستان. ويشير اليه متى الذي يلاحظ ان هذه الحادثة كانت اتماماً مباشراً لمزمور مسيا القائل: اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة. ويوحنا الحبيب يشير ايضاً الى هذا المزمور الذي يعطينا اقصى واتم وصف كتب عن آلام الصلب « ثقبوا يدي ورجلي » « ينظرون ويتفرسون فيّ » « احصي كل عظامي »

ولا بد ان يكون هذا الاختبار من افظع الاختبارات

المؤلمة لحاسيات المسيح بالنسبة الى طهارته وشرف رجولته اذ يقول متى « فعروه » وهكذا عرياناً خرج من بطن امه وعرياناً تعلق على خشبة العار .

لقد اختبر آدم الاول بمعصيته العري الجسدي والادبي واتخذ آدم الثاني على نفسه شبه جسدنا الخاطئ ولذا فان عليه عار عرينا ايضاً .

والكلمة صار جسداً ورأى الناس مجده—وتفرسوا في عاره— ومع ذلك فلقد كان هذا ايضاً مجده ان مسيح الله عُري وكان هذا أقصى ذله. انه عرّي حتى ببرّه نكتسي نحن بالثياب البيض وعند ما يعرينا الموت لا نوجد عراة .

ان جميع كتّاب الرومان مجمعون — في وصف طريقة الصلب — في ان المقضي عليه بالصلب يُعرّى وسمعنا ان اليهود كانوا يسمحون باعارة مجرميهم سترة يتزرون بها . وهكذا قضى عرف الفن في تصوير هذا المنظر المريع ومع ذلك فيلزمنا أن نضيف الى هذه الصورة

المحزنة آخر وافظع كل الاهانات اذ احتمل المسيح عري رداء العفة والحياء التي خافها حتى القديسون في استشهادهم والتي فزع منها بعضهم غماً وألماً كما قاست النساء المسيحيات في مذابح الارمن هذه المرارة التي هي أمرّ من الموت وأقسى

هكذا تألم المسيح ونحن الذين قد وضعنا ايضاً هذه الالوان القاتمة في هذه الصورة يلزمنا الا نمر بها دون ما اكتراث

على ان لهول الصلب الذي اختبره المسيح مظهران— الألم الجسداني والالم النفساني فألم الجسم من جراء الجلد الفظيع وتسمير اليدين والقدمين وعطش الحمى واختلاج الاعصاب المعذبة بحمل الجسد المكسور الراغب في الانطلاق. وألم الروح لكونه رُفض من خاصته وعُرّي من ثيابه واحصي مع اثمة وصار تحت لعنة الخطية ومحتقر زميليه في الالم. فلا عجب أن ظلمة من السماء قد كللت الارض وسترت خاتمة هذا المنظر المريع

وقد اثبتت صرخته المرة لجميع الناس في جميع العصور ان آلام روح المسيح كانت روح آلامه

يا من تمرُّ من هنـا　　هذا هو الانسانْ
بل رجلُ الحزن الذي　　قد صالح الدّيانْ

هذا هو الذي لنــا　　قضى على الصليبْ
وحمـــل اللهِ الذي　　قد رفع الذنوب

إذ قيّدت أوصالَهُ　　للبصق بل للعــارْ
وسَمّرتْ أطـرافَهُ　　جماعةُ الفجـــار

واقتسمت ثيـابهُ ال　　حرّاس والعسكر
وعرّضت حيـــاءه　　للخـــزي والنظر

فصار عرياناً عريِ (١)　　بل صار مــتزرْ
اذ سال من جراحه　　دمٌ جرى وقــرْ

وهنا عند ما نتأمل في مظهر موت المسيح تستلفت

(١) معرى

انظارنا ثلاثة افكار : ان المسيح عرّي كلية على خشبة العار ، وان العالم ما زال يعري يسوع المسيح ثم يقتسم ثيابه مقترعاً عليها . وان المسيحي ينبغي له أن يعرى على صليبه كما سبق وعرينا المسيح . ولقد قال مرة مفكر نابه : «انك لن تستطيع ان تحب يسوع بلا ثمن ولن يمكنك ان تقابل الصليب دون دفع الثمن سواء قبلت او ابيت فان المقاتلة (المبارزة) تترك وراءها جرحاً على الاثر» . وطبعاً كان هذا الفكر نتيجة التأمل في تعرية يسوع هذه

ان اعمق معاني التجسد تظهر على الصليب ولبولس الرسول كان الصليب نهاية اتضاع المسيح اذ يقول : « واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب» وهنا الجواب على سؤال الابرار في يوم الدينونة العظيم : « يا رب متى رأيناك عرياناً ؟ » فهو لم يخف شيئاً . ان ايوب قد قال في يأسه : « هوذا يقتلني . لا انتظر شيئاً » أما يسوع فيقول : « هم يقتلوني

اما انا فأريهم كل ما في جنبي الدامي ويدي ورجلي.«احصي كل عظامي . وهم يتفرسون فيَّ»

ان الملك هنا ليس في مجده بل في عريه للجميع على السواء الشعب والعسكر ، الكهنة والتاميذ الحبيب ، امه الحنون والنساء التابعات — ان « الله ظهر في الجسد » ولكن في هوان . وهل يستطيع احد غير الذي عاين ان يكتب تلك الكلمات الواردة في الرسالة الى العبرانيين «هم يصلبون ابن الله ويشهرونه» فلا عجب ان انزل الستار في وسط هذه المأساة . «فكانت ظلمة على الارض» .

واذ مات المسيح الخالق ال اسمى عن الانسان
نحسنا تحتجب ال شمس عن العيان .

ولكن يسوع لم يحتمل في يأسه وألمه الصليب فقط بل انه احتمله ايضاً مستهيناً بالخزي من اجل السرور الموضوع امامه

في هذه اللحظة — كما ورد في انجيل لوقا — قال يسوع : « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون»

وقد وضع فوق رأسه عنوان السخرية الذي كتبه بيلاطس استهزاء به — «هذا هو ملك اليهود» — ملك بلا ارجوان عرشه الصليب، والعسكر يقسمون ثيابه بينهم وعلى لباسه يقترعون.

هل يستطيع احد أن يستحي من يسوع او يصلبه ثانية ويشهره بعد كل هذه؟

على ان هذا المنظر كان نبوياً ايضاً اذ مضى تسعة عشر قرناً ونيف والمسيح ما زال يصلب ثانية ويشهر.

عند الصليب زمرةً من عسكر الرومان
اشتجروا تحت يديْ رب الفدى المنان
وبعد ذا تصالحوا لضرب قرعة
على قميص من اتى للصلب والهوان
أواه من ظلم لكم يا ايها الجنود
إذ تنظرون الارض قد مادت من الاركان
وتسمعون قوله اغفر لهم الآن
وتقسمون ثوبه وهو العلي الديان

وماذا كانت ثياب يسوع ؟ «يا رب الهي قد عظمت جداً . مجداً وجلالاً لبست . اللابس النور كثوب » العالم رداء جلاله ، والسموات الشقة التي تحجب مجده ، والسحاب مركبته. لان يسوع اله حق من اله حق ويوحنا الحبيب لا يحجم عن ان يقول : كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .

كل جمال الطبيعة الرائعة صنعة يديه — قميصه المنسوج بالمجد والجلال دون خياطة — توحيد الكائنات يشهد لتوحيد الباري. وان العلم والفن لا يستطيعان الا ان ينظرا ويتأملا فقط في الجمال والنظام اللذين كانا في الطبيعة من البدء لان يسوع هو مبدع كليهما بل ان غروب الشمس الاحمر ليذكرنا بدم الصليب القاني . وليس بين الفنون الجميلة فن واحد سواء كان نحتاً او تصويراً هندسة معمارية او موسيقى الا وتدرج في مراقي الحسن والكمال بتأثير حياة وموت المسيح . ومع ذلك فكم من مرة نرى المصور والموسيقي يعريان يسوع من ثيابه لمجرد تصوراتهم

الشخصية ثم يتركانه معلقاً بالعري والهوان. وهاك دارون في كتابه «اصل الانواع» يحاول أن يشرح اصل الانسان ومقامه في الطبيعة ولكنه يتجاهل في بحثه «ابن الانسان» فما هو اصل يسوع ؟ انه يوجد عالم آخر — وراء هذا العالم الواقع تحت نظرنا وادراكنا — لا يدخله العلم وليس له من طريق او مفتاح فاذا نحن عرينا الخليقة من الخالق بشرح كافة نواميسها من دونه تعالى هل يجعلنا هذا اكثر غنى ام يتركنا اشد فقراً ؟ قد يقولون في اورشليم هوذا الانسان الذي يلبس قميص الناصري الذي بدون خياطة ولكن هل وجد هذا الانسان الطريق الى قلب يسوع ؟

حقاً ان العلم المجرد ليس له مكان للاعتبارات الادبية وكما يقول جيمس آدمز : «اذا كنا نعتنق كلية وباخلاص مبادئ العلم المقبولة فانا نهدم في الحقيقة جميع الاعتبارات في الحياه البشرية وها الفنون الجميلة قد بدأت تظهر هذا التأثير المتلف — ففي الرواية مثلاً ما فائدة الكتابة عن الاخلاق اذا لم يكن هناك ثمت شيء يدعى بهذا الاسم

اي اذا كانت الشخصية خرافة وحرية العمل حلم اذا كان كل ما نحن عليه هو مجرد حالات عقلية متابعة دون ما اهمية كوهيج ضوء الفوسفور على الخشب البالي».

والفلسفة ايضاً قد عرت يسوع فان الفلاسفة يبحثون — بحكمة او بلا حكمة — نفس المعضلات التي اتى لحلها بل وقد حلها نفسه ثم يتركونه خارج نطاق ابحاثهم. فيوجد كتاب فلسفي اسمه «المعضلات والفلسفة الحديثة» مع انه يقع في ٥٧٥ صفحة فقد خلا من اية اشارة الى يسوع المسيح مع ان المسيح جاء ليجيب على الاسئلة الاصلية للفلسفة مثل : من اين جئنا ؟ لماذا نحن ههنا ؟ ما هي طبيعتنا الحقيقية ؟ ما هي نهاية غرضنا ؟ ما هي الحياة ؟ ما هو الموت؟ ما هو سر الالم ؟ وما هو رجاء البشرية ؟ وهنا الا نرى سبينوزا وهجل وشوبنهور وكنت وهكسلي وسبنسر وبرجسون وباقي الفلاسفة انما يقترعون على قميص المسيح؟

والادب العصري ايضاً يغتصب من يسوع موعظته على الجبل ولكنه يرفض ان يصعد الى الصليب. وان

اولئك الذين ما دخلوا قط معه بستان جثسيماني ولا رأوا صليبه يتشدقون كثيراً عن أخ اكبر وعن ابوة عامة ولكنهم لا يعرفون قيمة ذلك. واللاهوت العصري والهندوسية الحديثةواليهودية العصرية بل وبعض الكتب الاسلامية جد تحسد بل وتطلب ادب يسوع الاجتماعي ولكنها تنكر لاهوته بتاتاً. وفوق ذلك فان كل ما هو جليل، كل ما هو حق، كل ما هو شريف في هذه الديانات العصرية والفلسفات المستحدثة ان هو الا ثوب مستعار اخذته عن المسيحية وادعته لنفسها مثلما «ان العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسماً.»

والاشتراكية تبشر بانجيل اشتراكي ولكنها تنسى ان ذلك الانجيل الاشتراكي ولد في بيت لحم وان حقوق البشرية ختمت بالدم على الجلجثة. والصليب الذي كان مرة رمز العار والجريمة اصبح بفضل من تعلق عليه رمز المساواة والسلام والمحبة وعنوان الشجاعة والولاء

والاستشهاد. وكيف نستطيع ان نتكلم عن الخدمة الاجتماعية ونترك وراءنا يسوع ؟ وان الانسان عند ما نزور مستشفيات الصليب الاحمر والملاجئ المسيحية ودور البائسين ومراكز رعاية الاطفال ويرى احياناً الروح المسيحية واضحة ولكن المسيح ورسالته دون ظهور ليصرخ من اعماق روحه قائلاً مع مريم : «انهم اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه؟» اجل ان الرمز موجود ولكن المسيح قد ترك خارجاً وليس له مكان فيها . وقد اعتدنا كمسيحيين ان نرسل تهانينا بعيد الميلاد ولكن كثيراً ما لا توجد على بطاقات هذه التهاني ادنى اشارة الى رسالة الميلاد التي تخبر بتجسده بوضوح وجلاء. نعم فالثياب موضوعة ولكن يسوع ليس موجوداً والناس يقترعون على قميصه بينما هو معلق على الصليب وحيداً بل عرياناً ومنبوذاً « وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء » ( مت ٢٧:٣١ )

فلا عجب اذا وجدنا في طقوس الكنيسة اليونانية

عن الآلام — ان الكهنة بعد ما يعددون آلام مخلصنا واحداً فواحداً ويطلبون الرحمة بعد كل واحد يختتمون الخدمة بهذه الطلبة « باحزانك الغير المعلومة عندنا وآلامك التي شعرت بها على الصليب ولكن لا ندركها نحن بجلاء ارحمنا وخلصنا »

ونحن نحتاج الى هذه الطلبة فان المسيحي ايضاً يعرّى على صليبه كما عري المسيح على الصليب وليس التلميذ افضل من معلمه . والناس ترانا دائماً كما نكون عند ما نعلو صليبنا فان الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية وعلى قنطرة الموت المريعة لايمر شيء عدا الشخصية عارية . وهنا يصف كارليل الكاتب المشهور جميع البشرية كواحد وشبه واحد غريب عند ما نعرى عن ثيابنا وحلينا — أي من شارة المجد والمنصب وعظمة المكان التي تجعل ذلك التمييز . وليس في الحياة شيء يعلن قرارة الاخلاق اكثر من الألم . فان النار تفصل اما الصلب فيكشف ويعلن . فقد صلب يسوع البرئ وجستاس

ودنماس المجرمين كل على صليبه والواحدبجانب الآخر.
ولكن واحداً مات في الخطية . والآخر مات للخطية
والاخير مات عن الخطية . فالاول مجدف والثاني مؤمن
والثالث مخلص . واحد مات ففقد حياته وواحد مات
فوجد حياته وواحد مات فاعطى حياته . على الصليب
يرانا الله والناس كما نحن لان الموت يعرينا من كل شيء
عدا الروح الداخلية فيذهب كل رداء تستتر وراءه النفس.
وعند ما نقف امام كرسي القضاء نقف عراة كما قال ايوب
« عرياناً خرجت من بطن امي وعرياناً اعود الى هناك »
«كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه امرنا»
عند ما نعبر قنطرة الموت

ولذلك فاننا عند ما نتفرس في المخلص على الصليب
نتمنى ان « نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء .وان كنا
لابسين لا نوجد عراة» و «طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه
لئلا يمشي عرياناً فيروا عورته» (رؤ ١٦: ١٥) وهذه اكثر
التطويبات السبع — الواردة في سفر الرؤيا — اهمالاً .

وليس للفعل « مَلكَ » مكان في السماء لان الفعل «صار» قد لاشاه منها فنحن لا نملك هنالك بل ( نصير ) ملكاً ابدياً « هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم؟» هم لابسون ثوب بر ليس لهم . وفي وسط ربوات اولئك الجماعات قد وقف الواحد الذي عُري على الصليب ولكنه الآن «متسربلاً بثوب الى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب »

سأل مرة المصور ووتس صديقه فردريك شيلدس أن يصف الالوان الحقيقية لثياب الايمان فقال : ان الايمان هو توكيد الامور السماوية للبشر المسجونين بالامور الجسدانية ولذلك فان جناحيه ودثاره بلون السماء أما ثوبه فابيض نقي وهذا لان الذين يطلبون البر باعمالهم يخيبون مما لا يستطيعون أن ينالوه الا بالايمان فقط . وهكذا عند ما نلبس ملابس الملك البيضاء نفهم اخيراً المعنى الروحي والرمزي لهذه الكلمات

« اقتسموا ثيابه بينهم »

# الفصل السادس

« الهي الهي لماذا تركتني ؟ »

«يبتدي مزمور الصليب بهذا الصراخ: «الهي ! الهي ! لماذا تركتني؟» وينتهي في الاصل العبري — حسب رأي بعضهم — بهذا الاقرار: «قد اكمل» وانه ليمكننا القول انه لا شيء يشبه هذا المزمور بالنسبة لما ورد فيه من اشد عبارات الاسى والاسف الصادرة من اعماق حزن لا يدركه الانسان او ينطق به. ولا عجب فهو صورة اشد ساعات مخلصنا حزناً وسجل كلمات موته وقارورة آخر دموعه وذكرى افراحه التي كانت له وقت النزع.

قد يكون في هذا المزمور وصف لداود واحزانه بصورة مصغرة جداً ولكن كما ان نور الشمس الساطع يحجب لألأ النجم الضئيل كذلك فان من يرى يسوع قد لا يرى او لا يهتم بان يرى داود اذ نرى هنا وصفاً لظلمة الصليب ومجده كما نرى فيه الالام التي للمسيح والامجاد التي بعدها. فيا الله هبنا نعمة لنقترب ونرى هذا المنظر العظيم. انه ينبغي لنا ان نقرأ هذا الوصف بخشوع خالعين احذيتنا من ارجلنا كما فعل موسى عند ما اقترب ليرى العليقة لانه اذا كان في الكتاب ثمة ارض مقدسة فهي موجودة في هذا المزمور»

تشارلس سبرجن

الواعظ الشهير

# الفصل السادس

« الهي الهي لماذا تركتني »

هذه هي الكلمة الوحيدة من الكلمات السبع التي نطق بها المسيح على الصليب وسجلها متى ومرقس كلٌ في انجيله وهي بعينها الواردة في بدء المزمور الثاني والعشرين ومع ذلك فلم يشر اليها اي البشيرين كاتمام للنبوة . وهكذا خرجت هذه الكلمة من شفتي المخلص بعد ان قاسى السيد جسداً ونفساً آلام ست ساعات كاملة أما كلمته الاولى فهي : « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون » وهي صلاة شفاعة بطلب المغفرة . والثانية « اليوم تكون معي في الفردوس » وهي كلمة عهد بالراحة والسلام . والثالثة : « يا امرأة هوذا ابنك .. هوذا امك » وهي كلمة اهتمام رقيقة الى امه ولاجلها . ثم كانت الظلمة وقبلما نطق السيد بكلماته الثلاث الاخرى بتتابع سريع قائلاً : « انا عطشان » « قد اكمل » « يا ابتاه في يديك

استودع روحي» — صرخ صرخة الألم المريعة «الهي الهي لماذا تركتني ؟ » ولماذا ؟

لانه ليس بين المفديين من عرف عمق تلك المياه التي قطعها المخلص وادرك ظلام الليالي التي قضاها السيد قبلما وجد الخروف الضال .

وانه لظاهر وجود شيء من القوة الفذة والشعور العميق في هذه الكلمات التي فاه بها يسوع وهو على الصليب من هـذه الحقيقة وهي ان البشيرين اجتهدا — في هذه الحالة فقط — ان يسجلا نفس الكلمات التي استعملها السيد له المجد وهي : ايلي ايلي لما شبقتني — وفوق ذلك فلا نرى في جميع اسفار الكتاب المقدس تكراراً لهذه الكلمات الا في مزمور المسيا . وان هذه الصرخة لتعبر عن آلام مبرحة لم يرها هذا العالم ولن يراها الا في هذه المرة .

وهنالك رواية يشير اليها لدولف الكرثوسي منذ القرن الرابع عشر وهي ان السيد له المجد بدأ يعيد وهو

على خشبة الصليب كلمات المزمور الثاني والعشرين واستمر في تأمله حتى وصل الى العدد الخامس من المزمور الحادي والثلاثين حيث قال : «في يديك استودع روحي» . على انه من دون هذه الرواية يوجد ولا شك في تلك المزامير التي كانت في قلب المسيح وغالباً على فمه شرح حياته وادراك وظائف المسيا مما لا نجده في اي سفر آخر غير المزامير . وصحيح ايضاً إنا نجد في المزمور الثاني والعشرين هذا وصف الصليب بلغة تجعل الانسان أن يتساءل هل هذا تاريخ ام هذه نبوءة ؟ حتى ان ستروس وآخرون قالوا ان رواية الانجيل لهذا السبب ظاهر خرافيتها وان هذه الحادثة لم تقع فعلاً وانما أدخلت قسراً في الاناجيل كي تثبت اتمام عبارة اخرى وردت في طيات العهد القديم !

ومع ذلك فهذه الصرخة العميقة هي للمؤمن اعلان للآلام المبرحة والحزن العميق التي احتملها المخلص وبرهان على محبته اللانهاية لها للخطاة . انها تطلب منا مع جميع القديسين ان نكون « اقوياء حتى ندرك ما هو

طول وعرض وعلو وعمق محبة الله التي تفوق كل ادراك»

واذا كان الصليب هو الحقيقة الاساسية للعهد الجديد فان هذه الصرخة هي قلب هذه الحقيقة وأعمق تصريحاتها بل هي قدس الاقداس لمن يدرس بخشوع قصة الآلام

وحق لسبرجن أن يقول: «انه يجدر بنا ان نؤكد كل كلمة في هذه الصرخة التي هي اشد الصرخات حزناً وألماً «لماذا ؟» ما هو السبب الجلل لهذه الحقيقة الغريبة ان يترك الله ابنه في مثل ذلك الوقت وفي مثل تلك الورطة ؟ لم يكن لاي سبب فيه فلماذا تُرك: «ترك» نعم لقد ترك وان السيد له المجد ليشعر بنتيجتها المروعة اذ يسأل هذا السؤال. فحقيقة هو ترك ومع ذلك فيا للعجب انه لم يكن تهديد الترك الذي جعل ذلك الكفيل العظيم أن يصرخ بشدة بل لقد احتمل نتائج الترك عملياً «تَ» انا يمكنني افهم لماذا تعين على يهوذا الخائن و بطرس الرعديد ان يهربا ولكن انت يا الهي يا صديقي المخلص كيف يمكنك

ان تتركني؟ان هذا شر الكل — اجل — شر كل هذه معاً. ان جهنم نفسها لتدلع افظع لهبها لدى انفصال الروح عن الله «تركتني» لو كنت القيت عليّ عصا تأديبك لكنت احتملت لان وجهك كان يضيء أما ان تتركني كلية: آه يا الهي لماذا هذا «ني» انا ابنك البريء المطيع المتألم لماذا تتركني لاهلك. ان رؤية النفس بدموع التوبة ورؤية يسوع وهو يتألم على الصليب بعين الايمان لاحسن حل لهذه المعضلة فقد ترك يسوع لان خطايانا قد جعلت حاجزاً بيننا وبين الهنا»

ولكي نفهم ما هي آلام الجسد والنفس والروح التي تضمنتها صرخة الألم هذه يجدر بنا ان نذكر الظروف التي احاطت بها فالصلب كان افظع عذاب وجد في العالم القديم بل وأقصى عقوبة كانت في قانون العقوبات الروماني. اولاً بالنسبة لوقفة الجسم الغير الطبيعية والالم النابض من الايدي والارجل المثقوبة بالمسامير والعطش المحموم والضعف التدريجي ثم الموت. ثم عار الصليب

فكان مضاعفاً لاحد أفراد الشعب اليهودي اذ كان الصليب مظهر فظاعة ورمزاً للعنة الله ( غل ٣:١٣ وتث ٢١:٢٣ ) . أضف الى كل هذا التباين المهيب بين قداسة المسيح وبراءته ومهابته الالهية وبين الاستهزاء المر والتجديف المريع والازدراء المزري التي كان يقذفها على هذا القتيل العاجز لا الواقفون فقط تحت الصليب بل ايضاً من كانا معلقين معه على جانبيه (مت ٢٧:٢٤ ولو ٢٣:٣٩) . وكان رؤساء الكهنة يقودون الناس في هذا الاستهزاء قائلين : « خلص آخرين أما نفسه فما يقدر ان يخلصها ... قد اتكل على الله فلينقذه الآن » وجواباً على ذلك وقعت ظلمة — ظلمة علوية — على كل هذا المنظر من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وبعد ظلمة الثلاث ساعات هذه صرخ يسوع بصوت عظيم من اعماق ظلمة ألمه الفرد قائلاً الهي الهي لماذا ؟ ...

ان ملانكثون وغيره من المصلحين يقولون عن هذه الصرخة انها برهان على ان المسيح قد اختبر في

نفسه البشرية غضب الله ضد الخطية. وآخرون يقولون انها علامة على ان امانيه السياسية قد فشلت فهي صرخة عميقة جاش بها صدر مجاهد وطني يائس . وغيرهم ومنهم شليرماخر يقولون انها افتتاح مزمور الرثاء العظيم مع خاتمته العالية التي فاه بها المسيح كبرهان على انه المسيا. أما ماير فيقول ان ألم المسيح من رفض الناس له — «قد تغلب لحظة على شعوره العميق بشركة اتحاده مع الله » اما اولهوسن فيتكلم عن « ترك واقعي مجسم ومؤقت من الله » ويرى الدكتور فيليب شكاف في هذه الصرخة استعادة آلام جثسيماني و بلوغ آلام المسيح الكهنوتية اقصى درجاتها « انه كان اختباراً بشرياً الهياً عن الخطية والموت في اتصالهما المباشر ومظهرهما العام للناس بواسطة من كان كامل القداسة تام النقاوة. وألماً خفياً لا يوصف للنفس والجسد في انتظارهما الموت العاجل ومصارعتهما الواقعية مع الموت كاجرة الخطية ونهاية كل شقاء الجنس

البشري — الامور التي كان المخلص بريئاً منها ولكنه اتخذها على نفسه طوعاً من محبته المتناهية لبني آدم.

وبكل تأكيد هي ليست كما يخبرنا المسلمون احيانا انها نتيجة خوف المسيح من الموت ونقص شجاعته الادبية عند مواجهة الموت. حتى جان جاك روسو الملحد فهم هذه الحقيقة اذ قال: « اذا كان سقراط قد مات كفيلسوف فان يسوع الناصري قد مات كاله »

وبدون الايمان بأن يسوع قد حمل خطايانا في جسده على الصليب وبدون قبول العنصر الكفاري في موته نرى ان صرخته على الصليب سراً غامضاً لا يمكن تفسيره أما اذا كان يسوع هو حمل الله والله نفسه وضع عليه اثم جميعنا فانا نقبض بايدينا على مفتاح سر مثل هذا الالم.

اذا كان موت المسيح هو موت شهيد عظيم لاجل الحق فقط فان صرخته لا محل لها بالمرة ولكن اذا كان قد مات البار لاجل الاثمة اذا كان قد جُعل خطية لاجلنا اذاً تكون خطايانا وخطايا كل العالم هي التي اخرجت من

صدر الفادي صرخة الالم والوحدة هذه. وما هو الفداء؟ هو الترضية المقدمة لعدل الله من اجل خطايا الناس بواسطة وقوع آلام القصاص النيابي على ابنه الحبيب.

واذا كان هذا التعريف اللاهوتي لا يرضينا فانا نرى نفس هـذه الحقيقة العظمى واضحة في طقوس الكنيسة لدى تناول العشاء الرباني احياء لذكرى موته. وهل اجمل من شرح الكنيسة الهولندية المصلحة «نؤمن انه سمح لجسده المبارك ان يسمر على الصليب حتى يسمر عليه صك خطايانا ونؤمن ايضاً انه اتخذ على نفسه اللعنة التي نستحقها حتى يملأنا ببركاته ووضع نفسه لاعمق جزاء وألم الهاوية في كلا النفس والجسد عند ما صرخ على خشبة الصليب بصوت عظيم: الهي الهي لماذا تركتني حتى يقبلنا الله ولن يتركنا ابداً.»

ونرى نفس هذا المعنى في خاتمة رثاء الشاعرة براونج على قبر الشاعر كوبر اذ قالت:

مرةً هـزّتْ دنانا　　صرخة العمانوئيـلْ
صرخةٌ شقت صخوراً　　دون صوتٍ أو مثيلْ

ايلي ايلي كيف تركي　　يا الهي في المسير
قالهـا فوق الصليب　　في انين المستجيرْ

للعَـلا وسط العذابِ　　عنـد اتمام الخلاص
بعدها اذا اصطلحنـا　　لن نرى هذا القصاص

لقد « وضع عليه اثم جميعنا » — اي الخطية وعارها الالم والتبكيت . اجل كل عجزنا ونقائصنا ، سقطاتنا وذنوبنا ، تجاربنا ومعاصينا ، تعدياتنا وديوننا وخطايانا ، غلطاتنا وجهالاتنا، وارجاسنا وآثامنا. فينبغي لنا ألا نهرب من النتائج المروعة لهذه الحقيقة المرة فانه لن يمكننا — أن نهزأ بكبرياء قلوبنا حتى نحقق انه يمكننا المصالحة مع الله فقط « لانه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه »

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة

لاجلنا » وقد ترك من الله ليس لاجل خطايانا فقط بل لاجل خطايا كل العالم ايضاً اذ مر عليه بصورةٍ ما كل خطايا العصور وعارها مع كل امواجها وتياراتها . وطفت فوق رأسه غمر ينادي غمراً كل الشهوات الدنيئة وظلمة الشعوب القديمة حتى الى العصور الاول — عناد بني اسرائيل وصلابة رقبته — كبرياء نينوى وصور — قساوة مصر وبابل — ظلم المجتمع الانساني وجرائم الاسواق — البغاء والحروب — خيانات الاسخريوطي وانكارات بطرس وكل الذين تركوا يسوع ثم بيلاطس — وهيرودس وقيافا — بل كل خطايا البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل . بطريقة ما غامضة ضغطت كل هـذه على نفسه حتى ولّدت صرخة الالم هذه حتى صار العقل الذي كان نفس مسكن الله ازعجه شبح عالم الخطية المخيف في جثسيماني. وعلى خشبة العار. هكذا كانت آلام الصليب مظلمة وكلية وحقيقية بل ان آلام نفس المسيح كانت بعينها نفس آلامه .

مات المسيح الخالق ال اسمى عن الانسان
فحسنا تحتجب ال شمس عن العيان»

قال فورسيث : ان موت المسيح لاعمق من الموت وآلامه اكثر كثيراً من مجرد الآلام. انه عمل كفاري. وانا نرى في اطوار عديدة في تاريخ الكنيسة لا الكاثوليكية فقط بل الانجيلية ايضاً — ان اهمية لا حد لها قد علقت على آلام المسيح ولكن المسألة لا ما تألم به المسيح بل ما اتمه. ان الم المسيح كان امراً سامياً لان المسيح شاء تحوله الى عمل جليل فكان ذلك الالم الذي قبل وتجلى بواسطة الطاعة المقدسة تحت شرائط اللعنة القاسية والضربة المميتة التي جلبتهما الخطية على رأس الانسان بموجب قداسة الله وعدله. وهكذا كان الالم ذبيحة لقداسة الله فضلاً عن انه كان عقاباً وفاقاً ولكن العمل الكفاري لم يكن في مقدار الآلام او شدته بل في طاعة المسيح وقداسته.

ومع ذلك فان الانسان ليحجم عن تحليل تلك

الصرخة التي فاه بها المسيح فوق الصليب . وهكذا بعد سرد كل ما كان في استطاعة الناس ان يقولوه لفحص مغزاها تبقى هذه الصرخة سراً غامضاً بل سر الكفارة. اذ ترى باي معنى معقول يستطيع الآب المحب القدير ان يترك ابنه الوحيد وحيداً في الظلمة العميقة والحاجة المتناهية؟ نعم يوجد كثيرون مستعدون بل على اتم استعداد ليقولوا ان المسيح كان عرضة لغضب الله وهذا دون التحفظات الدقيقة يبقى فكراً مؤلماً لا يوصف. وفي الحقيقة وبكل تأكيد لم يمكن ان يكون ذلك المتألم الالهي ولو لحظة او طرفة عين موضوع عدم مسرة الآب فانه هو الذي نزل من السماء ليفعل مشيئة الآب ويتمم قصد المحبة الالهية بفداء عالم ساقط مهما كلفه ذلك شخصياً. بل على النقيض من ذلك لم يكن قط فكر الآب مركزاً في الابن باكثر رضا وأعمق محبة من هذه اللحظة حتى قال المسيح : «لهذا يحبني الآب لاني أضع نفسي لآخذها أيضاً » ولم يكن المسيح قط اكثر شعوراً باتمامه مشيئة الآب وكسب

رضائه وعدم امكان التخلي عنـه او تركه كلية من هـذه الدقيقة .

ومع ذلك فقد تجمع في صرخة الالم هذه كل وحدة المسيح في ايام تجسده تلك الوحدة التي بلغت اوج علاها على خشبة الصليب حتى يتم القول « لقد دست المعصرة وحدي » .

فلقد كان المسيح وحيداً في مهده ، وحيداً في سني صمته في مدينة الناصرة، بل وحيداً في البرية، وحيداً على قمة جبل الصلاة ، ووحدته كانت لسبب عدم فهم الناس مقاصده— وحدة الزعامة ، بل وحدة التجربة ، ووحدة الصلاة ، فكان المسيح وحيداً وسط الجماهير، وحيداً على جبل التجلي، بل وحيداً في حزنه وبكائه على اورشليم،واكثر الـكل وحيداً ومنفرداً في جثسيماني، والجباثة، وعلى جبل الجلجثة، حينئذ«تركه الجميع وهربوا» «كرهوني بلا سبب» « على انه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش اما الرب فسرّ بان يسحقه بالحزن»

وهكذا اختبر المسيح ألزم واعظم عقاب للخطية الا وهو حجب وجه الله عن البشر ؟

قال روبرت كيبل — لدى كلامه عن وحدة المسيح هذه فوق الصليب «اني اعتقد ان المسيح قد اعلن بمعنى حقيقي اختبار حياته ذلك الاختبار الذي احتمله رجل الاوجاع ومختبر الحزن في صمت قلبه . لا شك ان هذا الاختبار قد تجسم على الصليب ولكن الانسان الوحيد الذي رفضته الارض لانه بلا خطية قد تركه الله اذ جعل خطية . فيا لعمق سر المحبة التي لا يعبر عنها . ويا لانتصار اعجوبة وحدة المسيح. ولا شك فلقد كان في تلك الساعة التاسعة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح في وحدة لايعبر عنها وانفصال كلي عن كل الموجودات »

لله مجد في العلا ومجدُه في العمقْ
في قوله كلي العجبْ في فعله محقِ

ما اعجب الحبَ الذي    منه لاجل الناسْ
اردى العدى في شخصه    بطاعـــــة و باسْ

---

حتى لقدْ قاس لنا    آثار مرّ الصلب
محتملاً قصاصنا    مضاعفاً بقلبْ

# الفصل السابع

« هوذا حمل الله »

يرى الانسان بين النقوش والرسوم القديمة على قبور ملوك المصريين القدماء علامة مفتاح الحياة ومن الغرابة ان تكون تلك العلامة دائماً في هيئة صليب

ولقد شعرنا ـــ ونحن جلوس في حلقات درسنا ـــ المرة تلو المرة ـــ كومضة برق ـــ ان الصليب هو مفتاح الحياة. اننا في الصليب و به قد وصلنا الى قرارة الاشياء. كما اننا شعرنا ان قلب العالم انما يعكس وجهه فيه واننا اذا استطعنا ان ندرك الالم الذي ينبض فيه استطعنا ان ندرك معنى الحياة نفسها

ان سر المسيح لهو في روح التضحية البالغ منتهاها بصليبه وادراك هذه الحقيقة هو ادراك (كنه) المسيح وادراك حقيقة المسيح هو ادراك (كنه) الله وادراك حقيقة الله هو ادراك معنى العالم والحياة فالصليب اذن هو المفتاح

اذا فقدت انا هذا المفتاح فشلت والعالم لن يفتح لي اما والمفتاح في يدي وقلبي فاني اعرف اني امتلك زمام سرها ؟

ستانلي جونس
في كتابه
« المسيح في حلقات الدرس »

# الفصل السابع

« هوذا حمل الله »

كتبت احدى السيدات المنفيات في سبيل المسيح من حقلها النائي في اواسط اسيا — بعد ان اشتغلت بين المسلمين طويلاً وسكبت روحها من اجلهم — تقول :

انا نتعلم هنا أن نضع الاشياء الاولى اولاً وندير دفة امورنا بحذر ولكن في الوقت نفسه بثبات كي نصل الى غرضنا الوحيد . واظن انه ينبغي لنا ان نعمل ذلك في سكون بالنسبة للعالم الخارجي حتى نستطيع ان نفعل شيئاً في هذا العالم الذي وضعنا الرب فيه . لان لنا الحرية الآن ان نشهد للمسيح ولكن هذه الحرية قد تؤخذ منا في اية لحظة ولذا يجب علينا ان نكون جد حريصين في استعمالها استعمالاً حسناً .

وهنا ألا يجوز لنا ان نسأل كشهود للمسيح ما هو الغرض الوحيد ما هو جوهر رسالتنا والحق الاساسي

الذي يجب علينا توصيله ؟ ما هي رسالتنا العظمى الخاصة والضرورية للعالم الغير المسيحي؟اليست هذه الرسالة واضحة في كلمات يوحنا المعمدان بشير العهد الجديد لاسرائيل — اسرائيل الذي نقل عنه الاسلام كثيراً — ان ذلك الصوت الصارخ في البرية كان له رسالة واحدة «هوذا حمل الله» .

وقد اخذت من يوحنا حريتـه للشهادة ليسوع بسرعة فقد اتم فيه سيف هيرودس القاسي عمله ولكن بينما كان ليوحنا حريته كان يضع الاشياء الاولى اولاً

في السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر عند ما كان بيلاطس البنطي حاكماً على اليهودية وهيرودس يحكم الجليل وكل من فيلبس وليسياس يحكم على ربعه وحنان وقيافا يديران عبادة الهيكل والذبيحة اليومية. كان العالم الروماني في ثورة فكرية وقد تعددت الشيع وكثرت الاحزاب ونمت الفلسفات ولكن جميعها لم تكن لتثبت على رجاء حي. ولذا اتت كلمة الرب الى يوحنا في البرية وما سمعه من الله جعل يردده صارخاً «هوذا حمل الله».

ان عبارة « حمل الله » كلقب للمخلص قد وردت مرتين في انجيل يوحنا ومرة واحدة في رسالة بطرس الرسول الاولى . والكلمة خروف الواردة في سفر الرؤيا لا أقل من ٢٨ مرة هي حمل اي خروف صغير . ودرس هذه العبارات يساعدنا على فهم قيمة هذا اللقب العظمى لدى يوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر يسوع وعرف سر محبة المسيح الفادية ربما اكثر من اي رسول آخر . وان في شهادة يوحنا المعمدان للمسيح نرى أول ذكر ليسوع في قوله : «وفي الغد نظر (يوحنا) يسوع مقبلاً اليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » « وفي الغد ايضاً »عند بيت عبرة او بيت عنيا وراء الاردن «كان واقفاً هو واثنان من تلاميذه فنظر الى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله »

على ان بطرس الرسول لا يستعمل هذا اللقب مباشرة بل في كلامه عن افتدائنا من الخطية يقول «انكم افتديتم لا باشياء تفنى بفضة او ذهب بل بدم كريم كما

من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » وفي رؤيا يوحنا الحبيب في بطمس تقدُم فجأة (٥:٥ و٦) الى الاسد الذي من سبط يهوذا والذي هو ايضاً حمل الله « ورأيت فاذا في وسط العرش والحيوانات الاربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كانه مذبوح» وقد خرت الاربعة الحيوانات والاربعة والعشرون شيخاً أمام هذا الخروف (٨:٥) وهم يترنمون ترنيمة جديدة مع ربوات ربوات والوف الوف الملائكة الذين يشتركون معهم قائلين بصوت عظيم «مستحق هو الخروف المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » وكل خليقة تشترك في ترديد ترنيمة المجدللخروف.

ثم نقرأ ان الخروف فتح واحداً من الختوم السبعة فتتابعت احكام الله بسرعة حتى صرخت الناس في خوف قائلين للجبال والصخور ان تسقط عليهم وتخفيهم عن غضب الخروف (١٦:٦). اما المفديون فجمع كثير لم يستطع احد ان يعده وقد وقفوا امام العرش وامام الخروف متسربلين

بثياب بيض يرنمون له تسبحة الحمد لان الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ... ويمسح الله كل دمعة من عيونهم (٧:١٠و١٧). وبعد ذلك بقليل نقرأ كيف انهم غلبوا في الموقعة الاولى ضد المشتكي على الاخوة بدم الخروف (١١:١٢) ولان اسماءهم مكتوبة في سفر حياة الخروف (٨:١٣) ثم نرى الخروف واقفاً على جبل صهيون (١:١٤) والاطهار الذين لم يتنجسوا (مع النساء) يتبعونه لانهم باكورة الذين اشتروا من بين الناس للخروف (٤:١٤) اما الذين يسجدون للوحش فيعذبون أيضاً امام هذا الخروف نفسه (١٠:١٤) والغالبون يرتلون ترنيمة الخروف (٣:١٥). أما العصاة فسيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لانه رب الارباب وملك الملوك (١٧: ١٤). وبعد ذلك نسمع صوت جمع كثير في السماء مرنمين هللويا لان عرس الخروف قد جاء « طوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف» (٧:١٩ و٩) وفي الفصول الختامية نرى ان كل المجد قد أعطي للخروف وهو حمل الله الذي

يرفع خطية العالم. فالمدينة المقدسة هي «عروس الخروف» والرسل هم « رسل الخروف » والخروف هو هيكلها الوحيد ( ٢١:٢٢ ) ولن يدخلها أحد « الا المكتوبين في سفر حياة الخروف (٢١:٢٧) ونهر ماء الحياة يخرج من عرش الله والخروف لان عرش الله هو عرش الخروف (١—٣) وهم سينظرون وجهه واسمه (اسم المسيح) على جباههم «وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم». فمن يستطيع ان يقاوم هذه البراهين المتراكمة من هذه العبارات ولا يقر بان يسوع هو حمل الله ومخلص الخطاة فادي العالم وملك المجد ديان الجميع ورئيس الشعوب واحد مع الآب في الجوهر ومساوٍ له في الذات والصفات.

على ان جميع هاته المعاني كانت مستترة في تلك العبارة التي فاه بها أولاً يوحنا المعمدان على شاطئ نهر الاردن عند ما رأى ذلك الناصري الطاهر قد أحصي — في عماده — مع اثمة لكنه مكلل بمجد وبهاء من السماء اذ قال الآب: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى ٣:١٧).

ويقيناً ما استعمل يوحنا المعمدان تلك العبارة الا وهو عالم بمقدار أهميتها لدى سامعيه لانه لم يكن يتكلم بألغاز بل أشار الى المسيا من نوع النبوءة والرمز الوارد غالباً في اشعياء ص٥٣ عن عبد يهوه الذي يحمل اثم جميعنا وكشاة يساق الى الذبح . وان جعل هذه العبارة تشير الى اتضاع المسيح دون ذكر ذبيحة كفارته هو إخلال بكل العبارات المتشابهة كما لاحظ جوديت بقوله — لا شك انه كان ثَم ذلك الفارق العظيم الذي شعر به يوحنا المعمدان بينه و بين المسيح الذي قاده الى تفضيل لقب المسيا هذا دون سواه من بين جميع القاب المسيا التي وردت عنه في أسفار العهد القديم فقال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم». وانه لامر غريب أن يكون هذا اللقب — حمل — الذي عرِف به يوحنا الحبيب يسوع للمرة الاولى — هو نفس اللقب الذي فضل تلقيب المسيح به في سفر الرؤيا فان الوتر الذي كان قد اهتز في هذه الساعة الحاسمة في قرارة نفسه استمر في ذبذبته الى آخر نسمة من حياته .

كيف لا وان موسيقى هذا الوتر كان متناسقاً مع نفس تعاليم المسيح الاولية — انه قد اتى «ليبذل نفسه فدية عن كثيرين» و«كما رفع موسى الحية في البرية هكذا يرفع ابن الانسان» على الصليب لاجل فدائنا. وفي عبادات الكنائس لا نرى اسماً آخر اكثر استعمالاً او شيوعاً من قولهم مثلاً

يا حمل الله رافع خطايا العالمين امنحنا السلام

يا حمل الله رافع خطايا العالمين ارحمنا الخ

وفي كتاب فردوس الشاعر الكبير دانتي نسمع أصوات الارواح ترنم لاجل العفو والمغفرة بنغم واحد وصوت واحد نفس هذه الكلمة «حمل الله»

ان يوحنا المعمدان يلفت الانظار الى شخص المسيح بقوله: «هوذا» مستعملاً ضمير الافراد مع كثرة الحاضرين وهكذا ينبغي لكل واحد منا أن ينظر شخصياً الى يسوح لينتزع عنه خطاه الشخصي مع انه يرفع خطية العالم «وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم

أيضاً».لم يكن لدى يسوع الناصري ثياباً ملكية ولا تاجاً ملكياً انما كان ابن نجار ولكن يوحنا المعمدان رأى فيه مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً. انه حمل الله. ونسبته لله نسبة اصلية. فالله أرسل ابنه والله يحب ابنه وفي هذه الكفارة ليس الانسان الذي يقدم بل الله نفسه الذي يقدم أحسن ما عنده.

قال بيلاطس البنطي «هوذا الانسان» مشيراً الى يسوع مكللاً بالشوك وآثار جلده المريع مغطاة بثوب الارجوان. وقال يوحنا المعمدان عن يسوع بعد عماده وبدء خدمته مباشرة هوذا الانسان الذي هو حمل الله.

ومنذ تلك اللحظة الى الآن والعالم ينظره لانه يملأ أفق التاريخ ولن يمكن اخفاؤه. ولكن الناس إما يتفرسون فيه ويبتعدون عنه أو ينظرون اليه ثم يتبعونه الى النهاية. وإن ستدارت كندي الشاعر والكاتب الانكليزي ببعد نظر عميق يصف لنا يسوع كما يظهر لدى العصريين في هذه الايام اذ يقول «أنه يظهر محتقراً كما كان دائماً مع

تلك الكنيسة الضعيفة التي صرخت قائلة أوصنا في يوم الاحد وهربت من بستان جثسيماني في يوم الجمعة. التي تؤكد بشدة كبطرس ثم تنكره. التي تتشاجر عمن يكون أعظم وتظن انه من التطرف ان تغسل أقدام التعابى. ويوجد بين جماعة القسوس البائسين كثيرون من الحمقى نظيري الذين يبشرون بالانجيل ولا يستطيعون أن يعيشوا بما يبشرون به. الذين يتحببون وهم ليسوا لطفاء. أنه مرذول كما كان دائماً. انه نفس المسيح الذي جلس وثوب الارجوان الوسخ يغطي ظهره الدامي من الجلد وتاج الشوك على مفرق جبينه وقصبة هزء — لا صولجان — في يده وبصاق العسكري السكران يسيل على خديه. أنه نفس المسيح ولكني أنا شخصياً أخاف منه كما ان رجال جيلنا العصريين وهم أشد بطشاً من الوحوش الكاسرة يخافون منه في قرارة قلوبهم لان المسيح مزعج وقاهر — انه يستأصل منا الاعتماد على الذات ويقتل حدة الكبرياء

انه يجعل الناس يجثون على أقدامهم امامه ولا يعمل انسان عاقل هذا للانسان بل لله» .

انه الحمل الذي يدبره الله كفارة وذبيحة عن الخطية . وكما تعلمنا الرسالة الى العبرانيين بكل جلاء لنا في يسوع اتمام كل تعاليم العهد القديم عن الدم الذي يكفر عن الخطية فهو المرموز العظيم لجميع طقوس الذبائح وعبادات البشر . انه حمل الله الذي هو مشتهى كل الامم وان كاتب الرسالة الى العبرانيين يتدرج بنا حتى يصل الى نهاية مدهشة فيعمل مقارنة بين مجدجبل سيناء واعطاء الشريعة الادبية عليه وبين المجد الاعظم الذي اوجد من اجلنا على جبل صهيون فيقول « بل قد اتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي اورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابكار مكتوبين في السموات والى الله ديان الجميع والى أرواح ابرار مكملين والى وسيط العهد الجديد يسوع والى دم رش »

كيف يهب سفك الدم مغفرة الخطية ؟ ما هو أصل

الذبائح؟ من أين صار لها هذا الذيوع؟ انا نرى — ليس في ديانات الشرقيين فقط بل وفي العبادات الكفارية عند جميع الشعوب — ثلاثة معانٍ رئيسية في الكفارة وهي النيابة والرضاء والكفاية. وهذه المعاني تنطبق تماماً على ذبيحة المسيح على الصليب فالمسيح مات نيابة عنا كما مات الحمل نيابة عن اسحق على جبل المريا. وموت المسيح ادى ذلك الرضا عن الخطية وارضى العدل واشترى العفو كما فعل رش الدم على القائمتين عند ما قتل الملاك المهلك ابكار المصريين. وموته كفاية لانه لن يموت بعد بل اتم على الصليب بتقدمته الواحدة « ذبيحة تامة كاملة كافية وتقدمة ورضاء عن خطايا كل العالم.

ويعطينا الدكتور ترمبل في بحثه الشيق عن عهد الدم عند العرب مختصراً مفيداً عن تعاليم الشرقيين الاولين مع مقابلات عديدة من اسفار العهد القديم مبيناً انه ( لاولئك القوم ) بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ولا صلح داخلي. ولكي نفهم ما عناه يوحنا عند ما دعا

يسوع «حمل الله» ينبغي لنا أن نقرأ الاسفار التي هي حجر الزاوية لآراء وافكار العهد الجديد.

ويكفي أن نأخذ مثلاً واحداً مما لا يحصى من افكار الشرقيين الدينية فنجد في الاسلام عادة قديمة أقرها نبي العرب واسماها ذبيحة العقيقة وهي عادة شائعة لدى جميع المسلمين من مراكش غرباً الى سواحل الصين شرقاً. وهي مؤيدة بصحيح الحديث اذ نقرأ في البخاري أن نبي المسلمين لم يعقّ عن حفيديه الحسن والحسين فقط بل عقّ عن نفسه ايضاً ودعاء العقيقة المستعمل الى اليوم في هذه الذبيحة التفكيرية في اسبوع المولود كما يأتي:

«اللهم هذه عقيقة ابني فلان دمها بدمه ولحمها بلحمه وعظمها بعظمه وجلدها بجلده وشعرها بشعره. اللهم اجعلها فداء لابني من النار. اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لاشريك له وبذلك أمرت وانا من المسلمين . اللهم منك ولك بسم الله . الله اكبر »

والعقيقة عند المسلمين كالفصح عند اليهود لا يكسر عظم من عظامها. ويوحنا الحبيب هو الذي يشير الى هذا التفصيل في اتمام النبوءة في وقت الصلب ( يو ١٩:٣٦ ) وقد رأى على الصليب حمل الله الذي يرفع خطية العالم .

ان بشارتنا للعالم اجمع مستترة في هذه الجملة القصيرة «هوذا حمل الله» لان صليب المسيح هو الحلقة المفقودة في عقيدة الايمان في الاسلام لان موت المسيح وضرورة موته وحقيقة صليبه ومضمون فدائه ونتيجته وقوة أثره وتأثيره . كل هذه الامور قد اخفاها الله عن العظماء والحكماء ولكنه اعلنها للاطفال اذ يجد الطالب الجواب الشافي لجميع مشاكله عند ما يأتي الى الصليب ويتفرس في المصلوب. والتصوف في الاسلام في أعلى مراتبه عجز عن اعلان سر الصليب والفداء

وما التصوف الا فاجعة سياحة النفس الدائبة على

السير دون أن تصل يوماً الى غرضها. فالغزالي والشعراني وجلال الدين الرومي وابن العربي وكثيرون غيرهم من طالبي وجه الله قد ساروا في طريق وعرة طويلة متحدرة وتعاليمهم عن الخطية والتوبة والمغفرة ورؤية الله سبحانه وتعالى تحتوي على كثير مما يجوز استعماله كتمهيد للانجيل لكنها لم ترقَ قط الى الصليب. وكذلك نحن نضل الطريق الا اذا تتبعنا اثار الدم طوال الطريق من الوعد الاول في سفر التكوين الى اتمامه فوق الجلجثة.

وهنا يقول الرئيس فورسيث « ان الرسل في كل الادوار لم يفصلوا المصالحة مع الله عن الصليب ودم يسوع المسيح. واذا نحن فصلناها (وكثيرون من يفعلون ذلك اليوم) فانا نطرح العهد الجديد في اليم. فان الآفة المهلكة في هذه الايام التي يقال عنها انها اكثر روحانية ما هي الا مجرد هدم العهد الجديد ومعه حقيقة المسيحية. وان المنتقدين العصريين والناس الذين يعيشون بالفلسفة العالمية والدهريين ومناجي الارواح هم قوم يرمون في

اليم العهد الجديد باكمله عمداً رغماً عن تقديرهم الشديد لبعض اجزائه».

وعند ما يتحدث الناس عن اصلاح نظم الاجتماع العتيقة أو نقل الحياة من النجاسة الى القداسة دون الصليب فانهم يتبعون سراباً غاشاً. أجل يصح لنا ان نتفاءل عند ما نرى اتمام قصد نعمة الله للعالم ونشاهد فرصاً جديدة وعصوراً حديثة. ولكن عند ما جاء يوحنا المعمدان يكرز بالتوبة كان ايضاً قد جاء ملء الزمان. فان انقلابات عظيمة كانت تحدث وقتئذ في جميع اجزاء الامبراطورية الرومانية بل وفي نفس الكنيسة اليهودية وكان استعداد كلي وتوقع عظيم لظهور مسيا اذ كان قد عم يأس عميق من النظام العتيق ولكن يوحنا افتتح ذلك العصر الجديد باعلان فداء جديد: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم»

فنحن نريد فداء من النظام العتيق ولكن ينبغي ان يكون ذلك الفداء بالدم — دم حمل الله رافع خطية العالم.

لان صليب المسيح هو رجاء العالم الوحيد وخطرنا الداهم هو ان نصرخ هوذا الفرصة الجديدة هوذا أنظمتنا الجديدة هوذا اخاؤنا الجديد وننسى ان نصرخ «هوذا حمل الله» .

توجد صورة عجيبة للمسيح على الصليب كرجاء العالم الوحيد تظهر فيها بالوان زاهية شيئاً من كفاية الفداء وعموميته بطريقة واضحة لايمكن ان تُنسى. وقصة هذه الصورة الغريبة كما يأُتي : ان بلاتر هيروني الذي تلقى علومه في احدى مدارس المرسلية السويدية والذي أعد ايضاً في ايام الحرب ترجمة جديدة للعهد الجديد باللسان الامهري وكان أحد رؤساء المحكمة المختلطة في بلاد الحبش كان قد ارتقى في مناصب الدولة حتى ارسل مندوباً عن الحبشة ليمثلها في معاهدة فرسال . واذ كان هنالك يتأمل في مستقبل السلام العالمي خطر في فكره ان ذلك لن يتم الا بذبيحة المسيح الوحيدة وهكذا تصور عقله الحبشي كيفية اظهار هذه الفكرة بريشة المصور رمزياً .

وثمّ بحث عن فنان باريسي وأوحى اليه رأيه وكانت النتيجة هذه الصورة الشهيرة للصليب جدّ غريبة في فكرتها وحقيقية في معناها بل جد جذابة في رسالتها قاهرة في مبناها. اذ نجد المخلص معلقاً على الصليب الذي يستقر على نصفي الكرة الارضية بين الشرق والغرب ووراءه السماء جد مكفهر قاتم وقد حطت حول رأس المتألم المكللة باكليل الشوك هالة مجده العتيد وهو ينظر الى كلا العالمين اللذين مات لاجلهما. وقطرات الدم السائلة من يديه المثقوبتين قد صبغت جميع القارات والجزائر بلون الدماء القاني. «صبغة الله . وما أحسنها صبغة». فهذه الصورة هي حقيقة رؤيا كل العالم المفدي بدم المسيح اذ نقرأ في أسفلها ما كتبه المصور في ثلاث لغات :

« هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية »

# الفصل الثامن

« صلبوا رب المجد »

« ان احسن عمل هو ان نكرز بالمسيح مصلوباً في الهدوء او في الشعب متيقنين ان هذا وحده يفتح الطريق لشفاء الضمير الجريح ويطهر المؤمن من كل خطية دفينة. والغلبة هي لتلك الكنيسة — في العالم القديم كما في العالم الجديد، في بيوت افضلنا مسيحية كما في اظلم اطراف حقول مرسلياتنا، التي تجدد بغيرة ومحبة وبلا تردد ذلك الاعتراف القديم القائل « الرب قد وضع عليه اثم جميعنا » وتحوله بكل فرح وابتهاج الى ترنيمة شيقة ترنيمة السموات والارض « الذي احبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله ابيه له المجد والسلطان الى ابد الابدين آمين »

الرئيس جون كيرنز

# الفصل الثامن

« صلبوا رب المجد »

لقد تحقق بولس الرسول أن الكرازة بالمسيح مصلوباً « عند الهالكين جهالة » ( ١ كو ١ : ١٧ ) وانها « لليهود عثرة ولليونانيين جهالة » ( ١ كو ١ : ٢٣ ) ومع أن هذه الكرازة قد كلفته فحصاً عميقاً لقلبه وكان من قبلها في ضعف وخوف ورعدة كثيرة فقد عزم على أن لا تكون له رسالة اخرى « الا يسوع المسيح واياه مصلوباً » ( ١ كو ٢ : ٢ ). وكانت رسالة الصليب هذه عظيمة بهذا المقدار حتى انه — بالرغم عن انها تعلن حكمة الله وقوة الله — تعلن فقط بواسطة الروح الذي « يفحص كل شيء حتى أعماق الله ( ١ كو ٢ : ٢٠ ). وبمناسبة هذه الفكرة نرى بولس الرسول يستعمل عبارة مدهشة عن عظماء هذا الدهر قائلاً انهم يجهلون حكمة الله « لان لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » ( ١ كو ٢ : ٨ )

وفي خطابه الى قسوس كنيسة افسس يستعمل بولس الرسول كلمات أشد جرأة من هذه اذ يقول «احترزوا اذاً لانفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه (اع ٢٠:٢٨) يعني دم الله

قد نشمئز نحن من عبارة مدهشة مثل هذه «رب المجد على الصليب» و «دم الله» ولكن مهما حاولنا تخفيفها نرى الاصل اليوناني لايسمح بغيرها بديلاً.

وكتب القديس اغناطيوس الى الافسسيين بعد ذلك بخمسين سنة قائلاً ان المؤمنين قد «اشتعلوا وصاروا ناراً حية بواسطة دم الله» وبعد ذلك بقرن من الزمان يستعمل القديس ترتليانوس نفس التعبير «دم الله» ومثلها العبارة التالية التي كتبها بولس الرسول بعد وقوع حادثة الصلب باقل من سبع وعشرين سنة: «لان لو عرفوا لما صلبوا رب المجد».

من هو رب المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد

(مز ٢٤: ١٠) ورب المجد في العهدين القديم والجديد معناه ذلك الذي صفته المجد (مز ٢٩: ١ واع ٧: ٢ وأفسس ١: ١٧ ويع ٢: ١) اي الرب الذي له المجد حق طبيعي منذ البدء وهذا التعبير مهم لاهوتياً لانه يدل صريحاً على لاهوت يسوع . اجل ان معنى العبارات « موت الرب » الواردة في ١ كو ١١: ٢٦ و «جسد الرب ودمه» الواردة في ١ كو ١١: ٢٧ هو واحد ولكن الالفاظ أقل تشديداً . وحتى في أيام تجسد المخلص كان لبولس الرسول هو الرب الذي له كل المجد كحقه الطبيعي . بل لبولس — لم يكن أقل مما ليوحنا الحبيب الذي قال — ان الكلمة الذي صار جسداً كان في البدء عند الله وكان الكلمة الله .

حقاً ليس في السماء أو على الارض سر أعظم من سر الاله المتألم والمخلص القادر على كل شيء مسمراً على الصليب ومع ذلك فهذا عين ما تقصده هذه الكلمات وتعنيه فانه عند الصليب نرى في المسيح ملء محبة الله ورحمته جسدياً . انه في هذه النقطة نؤمن نهائياً — كما آمن قائد

المئة — بلاهوته . لأن العمل الذي يعمله هو لا يستطيع احد أن يعمله غير الله «والنفس التي تربح لاجل الصليب انما تربح لله في المسيح »

بل أن المسيح في موته وقيامته هو — لبولس الرسول — مركز الكائنات ومحورها . هو قبل كل شيء وفيه خلق الكل وله خلق لانه المصدر الاصلي لكل خليقة . الكل به لانه مبدأ وحدتها وفيه يقوم الكل لانه غايتها وهو مفتاح جميع أسرارها (كو ١:١٣—١٨)

ويقول جون كوردليير اللاهوتي الكاثوليكي ايماء لهذه العبارة الجليلة عن لاهوت المسيح ابن محبته الذي لنا فيه الفداء» ما يأتي : اذا كان الصليب شيئاً على الاطلاق فهو رسم الخليقة . انه يمتد من سديم الى سديم موصلاً أبعد أركان العالم ماداً لها يدي المحبة المثقوبتين . ان كل تقدم انما ينتج من تصادم محبته مع الالم الذي هو سر قلبه وان عذابه السري لهو أساس ومصدر كافة مسراتنا وافراحنا . واستغرب أن يكون اي عالم باسباب الحياة وأحوالها

غير مسيحي لانه يرى في كل شيء اعمق رمز للمسيحية اي الصليب منقوشاً في نفس أساسات مملكة الحياة. ويرى الالم والعناء وتضحية الفرد امراً لازماً لعمليات التناسل اليومية كما انه ضروري للجنس في نمائه البطيء الى الكمال. انظر الى العلاء انظر الى الاعماق انظر داخلاً بل انظر خارجاً تجد الصليب في كل مكان.

عُلِّق الفادي على عود صلبٍ وأهين
كل هزءٍ حملا وهو ربُّ العالمين

اسلم الروح وقد مات من اجل الخطاة
ملك الكونِ رقد وهو سلطان الحياة

دفن المحيي الرميم في ضريح كالبشر
واختفى الدر النظيم ضمن مختوم الحجر

حاملاً ما حمله لازماً كان لنا
فتعالى فضله اذ فدانا كلنا

* * *

بل اليوم هذا ثم في الليل بعده
تلاقي عــذاباً بل وصلباً لاجلنا
فهبني لسيري قبس نورٍ لحزنكا
وهبني لستري ظلّ صلب غدا لكا
وهبني عزاء بعض مجد بفضلكا
لانسى الهي مر عار لاجلكا

فنحن لا نرى فقط في موت المسيح ظهور محبة الله العظمى بل نرى فيه ايضاً حزنه الكلي وعطفه الكامل وإنا نقرأ «كما يترأف الأب على البنين» في نفس المزمور الذي ينبئنا انه «كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا» اذ على الصليب اختلطت المحبة مع الحزن وسالتا معاً — حزن الله ومحبة الله.

وان جملة عقيدة الكفارة المسيحية مبنية على أساس عقيدة لاهوت المسيح فايمانا في الثانية يعين يقيننا في الاولى اذ لا يستطيع الانسان المجرد ان يحمل قصاص

خطية انسان آخر. «ولا تزر وازرة وزر اخرى» وجميع الاعتراضات على ذبيحة المسيح الكفارية تختفي امام هذه الحقيقة العظمى لجلال شخص المخلص. ويقول الدكتور ماتشن: حقيقة أن المسيح الذي يقدمه لنا العصريون اليوم لا يمكن أن يكون قد تألم عن خطايا الآخرين ولكن الحالة جد تختلف بالنسبة الى رب المجد.

واذا كانت فكرة الفداء الكفارية مستحيلة كما يظن بعضهم فماذا نقول عن الاختبار المسيحي المبني عليها؟ أن الكنيسة الحديثة مغرمة بالالتجاء الى الاختبار ولكن أنى يمكن وجود ذلك الاختبار المسيحي الصحيح اذا لم يكن في ذلك السلام المبارك الذي ينبع من الصليب؟ وهذا السلام انما يأتي فقط عند ما يرى الانسان أن كل مجهوداته للصلاح مع الله وكل محاولاته أن يحفظ الناموس قبل أن يستطيع الخلاص غير ضرورية. وأن يسوع المسيح قد محا الصك الذي عليه بموته بدلاً عنه على خشبة العار. ومن يستطيع أن يقيس عمق السلام والفرح اللذين يأتيان

للانسان من هذه المعرفة المباركة ؟ فهل هذا خيال وهمي أو نظرية تصورية لفداء الجنس البشري ام هو نفس حق الله ؟» .

على أن بولس الرسول عند ما يتكلم عن يسوع المسيح كمتألم على الصليب بمثل العبارات التي اوردناها آنفاً انما يتناول حقائق هكذا سامية حتى انه يدعوها «اعماق الله» (١ كو ٢ : ١٠) لان هذه الامور كانت هكذا عميقة الى درجة اعجاز الفلسفة البشرية وسامية الى درجة عدم ادراك العقل البشري لها. انه يوجد في المحيط الهادي بعض الاجزاء لا تستطيع مقاييس اليم ان تدرك غورها كما انه توجد بعض الاجرام والنجوم السمائية لن تعطي سرها حتى لاعظم النظارات المقرّبة وهذه الامور «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم تخطر على بال انسان ولكن الله أعلنها» حتى للاطفال بروحه القدوس. ومع أننا لا نستطيع ادراكها فانا نستطيع — على الاقل — ان نخر على جباهنا بكل وداعة وشكر ونقول —

«حين أرى صليب من قضى فخاز الانتصار
ربحي أرى خسارة وكل مجد الكون عار»

وعلى الصليب لم يحدث أي انفصال بين طبيعتي المسيح . ان ناسوته الحقيقي ولاهوته الحقيقي لم يكونا مختلطين ولا ممتزجين بل متميزين وحاضرين فعلاً اذ « أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه » فالذبيحة لم تكن الانسان في المسيح مراضياً الله بل الله في المسيح مصالحاً الانسان وبمعنى آخر مصالحاً نفسه . ولم يكن موت المسيح موت بطل أو شهيد اطاعة لارادة الله بل موت ابن الله لاجل خطايا العالم . وفي موته وليس في اي مكان آخر في الانجيل أظهر فيه المسيح مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً. لان الفداء كان عمل اللاهوت جميعاً لانه — هكذا أحب الله (الآب ) العالم حتى بذل الله (الابن) الذي وضع نفسه لاجل الآخرين. والله (الروح القدس) ملأ يسوع بحضرته وقوته حتى

يحتمل مثل هذا الموت ثم انتصر عليه بقيامته المجيدة (رو ١: ٤)

فليس فقط في بيت لحم بل وعند الصليب أيضاً نرنم مع الملائكة: المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة.

ولذلك — كما يقول فورسيث — «نحن نستعمل الكلمات — الى ملء معناها — ان الله كان في المسيح مصالحاً ليس مصالحاً بالمسيح بل حاضراً فعلاً بالمسيح في المصالحة. وعاملاً بالمسيح عمله نفسه في المصالحة فالمصالحة تمت باللاهوت جميعاً وليس بالابن وحده ولقد كان لآباء الكنيسة كل الحق في اصرارهم على أن عمل الفداء كان عمل الثالوث باكمله — أي الآب والابن والروح القدس. ونحن نعبر عن ذلك عند ما نعمّد الى حياة المسيحية الجديدة بالاسم المثلث»

غير أنه يجب علينا أن نزداد تعمقاً في ذلك اذا اردنا ان نعرف شيئاً عن هذا السر اذ ينبغي الاّ يبقى هذا مجرد

عقيدة بل اختباراً واقعياً فنحن صلبنا رب المجد ونحن اشترينا بدمه

والآن فاسمع القديس انسلموس وهو يتأمل في هزيع الليل امام الصليب اذ يقول: «ماذا صنعت يا يسوع يا احلى البشر واعز الاصدقاء حتى تعامل هكذا ؟ ... انا هو تلك اللطمة التي آلمتك، انا مسبب موتك، انا الذي اشتغلت لعذابك». ثم يشير الينا بكلمات لا تزال ترن بوضوح في قلوبنا قائلاً : «ضع كل اعتمادك نهائياً على موته لا تثق في شيء عداه بل ثق كلية في ذلك الموت استر نفسك كلية في ذلك وحده بل لف نفسك كلية في ذلك الموت» . واسمع قول الفيلسوف العلامة القديس برنار: «ان اعظم فلسفتي هي ان اعرف يسوع ويسوع مصلوباً لان الصليب هو موضع ملتقى الحبيبين». ثم انصت الى صلاة القديس فرنسيس وهو يقول: «اي ربي يسوع المسيح نعمتين التمس منك قبل ان اموت — الاولى ان اشعر في حياتي — في روحي وفي جسدي بقدر الامكان بذلك

الألم الذي شعرت به أيها السيد في اشد ساعات ألمك مرارة. والثانية ان اشعر في قلبي بقدر الامكان بتلك المحبة العجيبة التي اضطرمت في قلبك يا ابن الله حتى احتملت باختيارك مثل ذلك الالم لاجلنا نحن الخطاة».

ثم ان موت المسيح يختلف كلية عن موت باقي الانبياء والشهداء من عدة وجوه فالانبياء تنبأوا بموته وموته كان كفارة عن الخطية. وقد رافق موته استعلانات خارقة للعادة واعقبه قهر الموت والقيامة. ولكن نقطة الخلاف الحقيقية هي في شخص الذي مات. فان هذا لم يكن غير ابن الله» الذي فيه حل ملء اللاهوت جسدياً لان الكلمة صار جسداً وصلب لاجلنا

دما العلي قد سالتْ فوق ذرى الصليبْ
كذا يقول الوحيُ فاقبل فدى الحبيب

يا أيها التعبان تضل للمدى
إن تنتظرْ بعقلك ادراك ذا الفدى

يا اجهــــل الاناسي كيف تُرى تريد
بغير صلب المـــولى ابطـال ذا الوعيـد ؟
او كيف تستطيع ادراك فعـــل الله
وهو العلي المسـتعلي يا احقر الخطـــــاه
دما العلي قد سـالت لينقـــــذ الفجار
فاهرب اليـه تنج شرّ القضـا والنـار
او فانتظر بعيـداً حتى ترى الهــــلاك
ادنى لام راســـكْ من فعل من فداك
بل فاسـتح يـا ابلهْ وانظر لكي ترى
ما ادهش الافلاكا وحـــير الورى
من ثم آمن تواً ولا تكن فاجر
بل قربـه تعـالا فهو الغني القـادر

فقد ظهر على الصليب أعظم شيء في الخليقة وهو المحبة وأشنع سر في العالم وهو الخطية وأسمى صفة من

صفات الله وهي القداسة «لانه جعل الذي لم يعرف خطية خطيةً لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه»

في الكتاب الذي نشر حديثاً عن حياة الدكتور كَليْ كران كترچي (احد زعماء مبشري الهند مدة ثماني واربعين سنة خلت ومن اعمدة الكنيسة الهندية) نقرأ الشهادة التالية:

«طالما سئلت لم طلقت دیانتي الهندوسية وصرت تلميذاً للمسيح؟ والجواب اني قد جذبت دون شعور تقريباً الى شخص المخلص بحياته الطاهرة النقية واطاعته لارادة الله واعمال الخير والرحمة التي صنعها لتخفيف آلام الانسانية المعذبة. ثم ان تعاليمه كما جاءت في الموعظة على الجبل ومحبته للخطاة قد اكتسبت اعجابي وخلبت لبي فاعجبت به واحببته. اما معنى التجسد فكنت قد تعلمت ان اعبده في دیانتي السابقة. وقد ظهر لي المسيح انه وحده مثل الله في القداسة وحقيق بالعبادة مثل الله. ولكن العقيدة التي اضطرتني ان أعتنق المسيحية وأعلن على رؤوس

الاشهاد ايماني هي عقيدة آلام المسيح وموته الكفاري. فقد شعرت باني خاطئ ووجدت في المسيح شخصاً مات عن خطاياي وحمل العقاب المستوجب عن معاصيَّ. «لانكم بالنعمة (انتم) مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» وكان هذا موضوع تأمل قلبي ان المسيح مات وبموته قد قضى ديناً لا يستطيع الانسان ان يسده. وهذا الاعتقاد الذي قد ازداد قوة بعد قوة بنموي في الحياة المسيحية وزيادة اختباري فيها قد صار الآن جزءاً من حياتي لانه الحد الفاصل بين المسيحية وجميع الاديان الاخرى. فقد شعرت بذلك عند ما صرت ميسحياً والآن أشعر به بأقصى قوة»

ان الموت الكفاري ليس هو فقط العلامة المميزة للديانة المسيحية بمقابلتها مع كافة الديانات الاخرى بل موت مخلص مثل هذا. فان كل شيء يتوقف على طبيعة واخلاق الشخص الذي يدفع البدل الكافي حتى ان القديس انسلموس في كتابه «لماذا تجسد الكلمة»

الذي هو اعمق واظهر كتاب منطقي ظهر في القرن الحادي عشر يقول: «ان حياة الاله الانسان هي أعظم بما لا يقاس من تلك الخطايا التي يفوقها موته بابعد مما يتصور .... اني افضل حمل كل آثام العالم الحاضر والماضي والآتي ايضاً على ان ارتكب تلك الخطية بل أرى ان اؤثر ذلك على ادنى اذى يلم به بسببي فضلاً عن صلب رب المجد» ويقول في موضع آخر انه لا يستطيع ايفاء مطاليب الله غير الله ولكن الانسان قد اخطأ فينبغي ان يقوم هو بالايفاء عن خطية الانسان اذاً فمن الضروري ان يكون القائم بذلك الهاً وانساناً معاً. وهذه الحقائق العميقة انما نراها في نفس قوانين الايمان المستعملة في العبادة الجمهورية كما نراها في ترانيم الكنيسة المسيحية.

لا سواهُ كان يُرضى     أو يفي عدل الاله
لا ملاكاً لا نبياً     ينشل القوم الخطاة

لا سواه كان يفتحْ للمـــلا باب السما
ثم يدعونا اليـه للسرور والهنـــا

نعم ان الانسان الطبيعي يكره العبارات العقائدية ولكن لا يوجد شيء يعمق فينا روح الخشوع وينقذنا من روح الاستخفاف في الصلاة مثل التأمل في هـذه الحقائق الجليلة؟ انه عند ما تفهم قوانين واصول الايمـان فهماً صحيحاً وتدرس لاهوتياً تقرب الى القلب مثلما تقرب الى العقل وللمخيلة كما الى الفهم. حقيقة ان التأمل في «اعماق الله» في الكتاب المقدس لمن الصعوبة بمكان وقد يظهر مبدئياً انه شيء جاف ولكنه مثـل التمرن على الانغام في درجات السلم الموسيقي فانه ان عاجلاً أم آجلاً تنتظم درجات العقيدة وتكون لحناً روحياً لذيذاً. ومن يثابر يعرف «عمق غنى الله وحكمته وعلمه»

وهكذا نرجع ثانية الى كلمات بولس الرسول (بل الى كلمة الله الموحي بها اليه) القائلة: «صلبوا رب المجد» و«كنيسة الله التي اقتناها بدمه»

في شخص يسوع المسيح توجد طبيعتان. اللاهوتية الكاملة والناسوتية الكاملة متحدتان فيه ولكن دون اختلاط بين الطبيعتين. فالله قد تألم على الصليب ليس في طبيعة الله بل في طبيعة الانسان. لانه كما يلاحظ هوكر: «عند ما يقول الرسول عن اليهود انهم صلبوا رب المجد (١كو ٢:٨) ينبغي لنا ان نفهم منه ان كل شخصية المسيح الذي وهو رب المجد قد صلب حقيقة ولكن ليس في تلك الطبيعة التي دعي من أجلها رب المجد. كذلك عند ما يقرر ابن الانسان—وهو على الارض—ان ابن الانسان كان في تلك اللحظة في السماء (يو٣:١٣) ان معنى ابن الانسان هو بالضرورة كل شخصية المسيح الذي وهو على الارض كان يملأ بمجده السماء ولكن ليس في تلك الطبيعة التي سمي من أجلها ابن الانسان».

ويسوع المسيح نفسه أدى امام رئيس الكهنة قبل ان يقضى عليه بالموت أقوى اعتراف ممكن عن حقيقة لاهوته وناسوته. وقد ورد هذا الاقرار في الاناجيل

(انظر مت ٢٦:٦٤ ومر ١٤:٦٢ ولوقا ٢٢:٧٠) «واما يسوع فكان ساكتاً. فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء؟... استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع انت قلت (وفي انجيل مرقس ورد قوله — انا هو ومن الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء). فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدف... انه مستوجب الموت حينئذ بصقوا في وجهه... ما حاجتنا بعد الى شهود لاننا نحن سمعنا من فمه»

ولكن لم يفهم منهم احد كما يقول بولس الرسول «لان لو عرفوا لما صلبوا رب المجد». ويقول ذلك اللاهوتي العظيم ليو الكبير «لقد اجتمعت في شخص فادينا طبيعتان ومع بقاء خواص كل من هاتين الطبيعتين فلقد كان اتحادهما هكذا وثيقاً حتى انه من تلك اللحظة التي صار فيها الكلمة جسداً في رحم مريم العذراء لا نستطيع ان نفتكر فيه كاله من دون ذلك الذي هو انسان او كانسان دون ذلك الذي

هو الله. وكل طبيعة تشهد لحقيقتها باعمال خاصة ولكن لا تفصل احدى طبيعتيه نفسها عن الاخرى. لا تقصير من احداهما للاخرى. بل ضعف كامل في العظمة وعظمة كاملة في الضعف. لان الاتحاد لا يوجد التشويش ولا يفصم النظام عرى الاتحاد. قد كان في المسيح (طبيعة) تقبل الألم وأخرى غير قابلة له. مع ذلك احتقاره كان احتقار من له المجد وفي ضعفه هو الذي له القوة. نفس الشخص الواحد قابل الموت وقاهر له. فالله اذاً قد لبس الناسوت الكامل واتحد نفسه فيه والانسان في نفسه في الضعف والقوة حتى ان كل طبيعة كانت في الاخرى. لكن لم تفقد الواحدة خواصها في الاخرى»

وهكذا في موت يسوع المسيح على الصليب تتبدل آلام الجسد وعاره إلى آلام إلهية بسبب اللاهوت المتحد مع جسد وروح الناسوت الاتحاد المتبادل. اجل إن الآلام غير محدودة لان شخص المسيح غير محدود إن «ابن الله احبني واسلم نفسه لاجلي» والله اقتنى الكنيسه بدمه.

# الفصل التاسع

«اراهم يديه»

رب هبني من جراحك قـــوة كي احتمـــل
عنـــد ما تدمى يدي أو أرى «النير» ثقل
مــــد لي كلتـا يديكا ثم لي قل ذا المقـال:
«قوتي في الضعف تكمل» قم وأسرع في القتـال!

---

إن رأيت الضعف أوهى عزمتي وســـط الجهاد
او رأيت اليأس أوحى لي هروباً من جلاد
مـــد لي رجلي شخصك كي أرى ثقب الحديد
ثم قل لي: قم تعـال لا تكن غراً عنيـــد

---

آه ربي كيف أخجل ان ترى هـــذي اليدا
او ترى ابطاء رجـلي عن لحاق بالعـــدى

الاسقف برنتون ثو برن بادلي

# الفصل التاسع

«اراهم يديه»

(يو ٢٠: ١٩—٢٩)

يشير بولس الرسول في رسالته الى أهل فيلبي الى مراحل نموه في الصداقة لشخص يسوع. فان معرفته بالمسيح اتت عن مصادر مؤلمة من الاعداء والاحباب على السواء. ثم في طريقه الى دمشق رأى المسيح واختبر «قوة قيامته» وفي ما بعد صارت له الحياة هي المسيح واخيراً يتكلم عن «شركة آلامه» كالغرض الاخير لهذه الشركة لكي يتمثل به في حياة تضحيته ويشاركه في كأس آلامه ثم في موته لاجل الآخرين.

وهكذا حبيب المسيح يرى ان ظل الصليب هو اطول ظل في العالم انه يمتد الى جميع العصور وسائر الاقطار بل ويقع حتى على صباح يوم قيامة المسيح.

«سلام لكم ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه» ان

يسوع المسيح لن يخبئ آثار جراحه كي يربح تلاميذ . انه يحمل في جسده الممجد آثار آلامه وهذه تثبت حقيقة شخصيته وتعلن غلبته وهي شارة سلطانه كمخلص وملك. «ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا»

وقد أفلح ثرْولدسن النحات الدانماركي العظيم في اظهار هذا المنظر الجليل على الرخام حيث ترى واقفاً في وسط الكنيسة الكبرى في كوبنهاجن هذا التمثال المرمري للمسيح المقام بيدين ممدودتين وقد ظهر فيهما آثار ثقب المسامير وهو يرسل تلاميذه برسالة السلام هذه. وعلى كل جانب من جانبي الكنيسة ترى ستة اشخاص يمثلون التلاميذ الاثني عشر . وقد أخذ بولس بينهم محل يهوذا الاسخريوطي. وان رؤية هذه الجماعة كما هي ممثلة في هذه الكنيسة لتترك اثراً عميقاً في العقل والقلب اذ ترى مسيحاً — لا على الصليب بل على اهبة الجلوس على العرش بالرغم عما ترى فيه من آثار المسامير والحربة. وقد

قبض ذلك النحات الماهر على ناصية تلك الرسالة المزدوجة التي خرجت من شفتي المسيح كما وردت في انجيل يوحنا «سلام لكم» «كما ارسلني الآب ارسلكم انا». لان الصليب ليس علامة الكفارة فقط ، بل مَثَل القدوة ايضاً ، انه يهمس بالسلام في الداخل ، ولكنه يدعو الى الجهاد في الخارج، ان فيه دافع للعمل، كما ان فيه رسالة السلام ، وان الذين اتيح لهم مرة رؤية الصليب في آثار جراح المسيح لن يستطيعوا ان يبقوا كما كانوا قبلاً ابداً «وهو (المسيح) مات لاجل الجميع كي يعيش الاحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لاجلهم وقام» فنحن لنا سلام بدمه ورسولية بقدوته.

وعجيب أن تكون آثار جراح المسيح هي الشيء الوحيد الذي أراه لتلاميذه بعد قيامته. باثار جراحه عرفه التلميذان عند كسره الخبز في عمواس بعد ما عجزا ان يعرفا هيئته او يتعرفا الى وجهه وصوته. باثار جراحه اثبت للتلاميذ العشرة حقيقة شخصيته واقنعهم بحقيقة قيامته.

باثار جراحه نبذ توما عدم ايمانه بعد ذلك بثمانية أيام وصرخ «ربي والهي». واخيراً فان جراح يديه وجنبه لهي عربون وخاتم سلامنا مع الله ودعوتنا للخدمة والتضحية دعوة لا تقاوم.

ان هين الشاعر الالماني يصور لنا آلهة العالم القديم وهم جلوس على عروشهم يتسامرون ويتفاخرون على عالم مستعبد واذا بفلاح حقير يدخل بغتة الى مادبة الآلهة وهو يترنح تحت صليب ثقيل فيلقيه بغضب على المائدة ويخرج وعندئذ تيأس جميع آلهة الشهوة والظلم وتموت ان آلهة العالم القديم هي كملاذ العالم الحاضر وعند ما يلقي المسيح صليبه في حياة اي شخص تموت كل شهوة الملاذ الكاذبة القديمة وعلى انقاضها تقوم حياة عجيبة جديدة اساسها اللذات المقدسة الابدية.

ولنا في الاناجيل رسالة رباعية الهيئة من فم المسيح نفسه—فتّى ينبئنا بالسبب: لماذا يجب علينا أن نتلمذ جميع الامم «دفع اليَّ كل سلطان في السماء وعلى الارض

فاذهبوا » ومرقس ينبئنا بالمكان : أين ينبغي أن نكرز «اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » ولوقا الطبيب يبين لنا ترتيب الكرازة : «بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم مبتدأ من اورشليم » اما يوحنا فانه يضرب على نغمة اعمق و يعلن لنا تلك الروح التي ينبغي ان تسود وتسيطر علينا «كما ارسلني الآب ارسلكم انا» «ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم من مرسله» فنحن ينبغي لنا ان نشاركه في مهمته تحت نفس السلطة بنفس الرسالة محتملين ايضاً الآلام . كما يقول يوحنا الحبيب ببساطة وبكيفية مدهشة « ان ذاك وضع نفسه لاجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لاجل الاخوة »

ان الصليب هو المحرك العظيم للخدمة فليس على يسوع ان يري غير آثار جراحه ليربح لنفسه شهداء لدينه. ان يفيض الله على الجميع روح التضحية «عند ما ينظرون اليّ (انا — اي المسيح) «الذي طعنوه» «فيقول له ما هذه

الجروح في يديك؟ فيقول هي التي جرِحت بها في بيت احبائي» (زك ١٢: ١٠ و١٣: ٦)

ولما ظهر يسوع المسيح لشاول في طريقه الى دمشق لا بد ان يكون هذا قد رأى ايضاً آثار المسامير والحربة وسط النور الذي ابرق حوله بغتة من السماء قائلاً «لماذا تضطهدني؟» — «انا يسوع الذي انت تضطهده» . . . «لاني سأريه كم ينبغي ان يتألم من اجل اسمي». فلا عجب ان بولس الرسول يستعمل في اليونانية—عند كلامه عن خدمة الرسولية وآلام المسيح — كلمة غريبة لم ترد غير مرة اخرى في اسفار العهد الجديد وذلك في انجيل لوقا عن الارملة المسكينة التي ألقت في الخزانة من «اعوازها. ألقت كل المعيشة التي لها» اذ يقول «الآن افرح في آلامي لاجلكم واكمل نقائص (اعواز) شدائد المسيح في جسمي لاجل جسده الذي هو الكنيسة»

ان الألم كان لليهودي معضلة يجب حلها. اما للمسيحي فصار امتيازاً يجب الاشتراك فيه. فشاول اليهودي واجه

مشكلة الالم في روح ايوب واصحابه الثلاثة فكانت معضلة لاتحل. اما بولس المسيحي فقد رأى آثار جروح المسيح وتحقق ان عبد يهوه قد جرح لاجل معاصينا وسحق لاجل آثامنا ولذلك فانه يكتب في رسالته: «لذلك اسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لاجل المسيح».

ان مجد المسيح المقام لاجلنا هو ان نعرف آثار جراحه وان نضع اصابعنا مع توما في أثر المسامير ثم نقول «الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام. لان عيني قد ابصرتا خلاصك» «ربي والهي» وألا يكون هذا اعظم فرح واعمق اختبار لدى القديسين في المجد أن يركعوا ويروا آثار الجراح. فان مريم لم تر في قدمي السيد عند ما مسحتهما بالطيب آثار المسامير حتى تقبلها. بل ان هذه الآثار هي الاشياء التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها ولكنهم يخبئون وجوههم عند ما ينظرون الى جلال هذه المحبة وسر الفداء.

توجوا رب المحبة وانظروا الجرح بحربة
قد زهى في جنبهِ
انظروا كلتا اليدين للفدا مثقوبتين
للورى من حبهِ
فالملاك في السماء اذ يرى ربَّ الفداء
قد علا في عرشه
العين منه تُحسرُ والفزع منه يظهر
لدى جراح ربهِ

«اراهم يديه» هل اراكهما؟ لقد صرف القديس فرنسيس الاسيسي ساعات طويلة جداً للتأمل في آثار جراح المسيح حتى حمل في جسده «سمات الرب يسوع». ولكن اهم جداً من ثقب يديه تلك الدلائل الجلية على حمل القديس لصليب المسيح في حياته اليومية.

« عند ما اراد القديس برنارد الاسيسي ان يتبع القديس فرنسيس قر رأيهما على وجوب الذهاب الى بيت

الاسقف وسماع القداس. فقال القديس فرنسيس بعد ذلك — نظل في الصلاة حتى الفجر. طالبين من الله لدى فتح كتابه ثلاث مرات ان يرشدنا الى الطريق التي يسره ان نتبعها»

فظهر في المرة الاولى تلك الكلمات التي قالها السيد المسيح لذلك الشاب الذي سأله عن الطريق الى الكمال: «اذا اردت ان تكون كاملاً فاذهب وبع املاكك وأعط الفقراء... وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١)

وفي المرة الثانية ظهرت تلك الكلمات التي قالها المسيح للرسل عند ما ارسلهم ليكرزوا: ""لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة،، (لو ٩: ٣)
وفي المرة الثالثة ظهرت تلك الكلمات الواردة في انجيل مرقس البشير (ص٨: ٣٤) «من اراد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني»

فقال القديس فرنسيس لبرنارد: ""هوذا النصيحة التي يسديكها يسوع. فاذهب اذاً واعمل بما قرأت

ومبارك هو ربنا يسوع المسيح الذي قد تفضل وأرانا الطريق لنعيش حسب انجيله الشريف ،،

وهكذا كرّس هو واخوته نفوسهم لعيشة النسك والتقشف ساكنين في بيت مهجور ذاهبين الى مساكن المرضى وزائرين اماكن المعوزين مبشرين بالانجيل. وكانت دائرة تبشيرهم تتسع تدريجاً حتى شملت الهراطقة والمسلمين. اجل وجاء القديس فرنسيس الى مصر في القرن الثالث عشر وقدم شهادته للسلطان الملك الكامل الايوبي (١٢١٨ —١٢٣٨ ) دون خوف أو وجل مثبتاً له استعداده للاستشهاد من أجل ايمانه . وفوق ذلك فان خلو باله من مشاغل العالم وفرحه في الخدمة وتواضعه في المعيشة وبساطته بل محبته للخليقة وشغفه العميق بخلاص بني آدم—هذه جميعها كانت آثار بل سمات الرب يسوع .

المس اليوم الحقيرْ لمسةً من يدكا
واملإ العيش المرير نعمة من عندكا

أعط للنفس سرور     وامنح القلب العزاءْ
واقبلـني يا قـدير     عند ما اغشى السماءْ.

مرة قابلت احد متصوفي الاسلام الزاهدين وكان يحسب على مسبحته اسماء الله الحسنى التسعة والتسعين. ولما تكلمنا معاً عن صفات الله هذه واهميتها لطالب وجه الله وعما قاله الغزالي وغيره من الصوفيين عن وجوب تأملنا في صفات الله حتى نتمثل به في رحمته وعطفه وشفقته. التفت اليّ قائلاً : ومع كل فليس الانسان في حاجة الى مسبحة ليعد عليها أسماء الله الحسنى لانها منقوشة على ايادينا». ثم بسط راحتيه وأشار الى الاعداد ٨١ ( واحد وثمانين ) و١٨ ( ثمانية عشر ) وهي أعمق آثار في كفي كل انسان — الايسر والايمن — وهي تساوي ٩٩ (تسعة وتسعين). ثم قال «هذا هو السبب في أننا نبسط راحتنا لله في عبادتنا لنذكر الله بجميع صفات رحمته عند ما نطلب عفوه ونعمته»

ومن ثم أخبرته بدوري عن آثار جراح المسيح

وكيف انه حمل خطايانا على الصليب ووعدنا قائلاً « انا لا انساكِ . هوذا على كفيّ نقشتكِ »

« ثقبوا يديه ورجليه » وفي جسده الممجد تبقى هذه الآثار لانها دعوة للتتلمذ وامتحان امانة كل من يدعو نفسه مسيحياً .

حقيقة ما اصعب اتباع المسيح لان مطاليبه صلبة وثابتة ولن يستطيع احد ان يتتلمذ للمسيح الا اذا ترك كل ما له ومن لا يحتمل الصليب لا يلبس الاكاليل .

ان يسوع المسيح لم يقل انه شجرة البلوط او شجرة الزيتون ولا حتى شجرة الارز بل قال انه « الكرمة الحقيقية » وهي الشجرة الوحيدة التي تربط بالوتد وتدمى لتبارك وكل غصن منها يحتاج الى سكين المقلم وحيث يعمق جرح الغصن هناك فقط امل بازدهار العناقيد .

اننا مدعوون الى شركة المسيح ولكنها شركة آلام . والارض هي الميدان المختار منذ الدهور للموقعة الحربية الاخيرة بين قوات النور وقوات الظلمة .

ولمـا صـاغ ربي في يـديه
شموسـاً ثم اقمار الفضـاء
كذا الارض التي نحن عليهـا
حياها بين اجرام الفضـاء
لـكي تبقى مكانا للذبيح
وحيـد الله خلاق السماء

ان شركة آلام المسيح هي الخلافة الرسولية الحقة. ان دم الشهداء هو بذار الكنيسة في كل عصر ومصر. وقد قال بولس الرسول « في ما بعد لا يجلب احد عليّ اتعاباً لاني حامل في جسدي سمات ( آثار جراح ) الرب يسوع »

المسيح ابن المبارك قد ارسلني كي أبشر
في أقاصي الارض امشي واسمه القوم أخبر

مسحتي في ان انادي قسمتي ادعو الجموعا
أقبلوا نحو المخلص واقبلوا الرب يسوعا

ان ترجمة حياة داود لفنجستون وهنري مارتن وماري سليسر وجيمس جلمور وكيث فلكونر لتحمل جميعها آثار المسامير. فعند ما تحبط خططنا او تخيب آمالنا عند ما تزول احلامنا او نهرق الدم في تنفيذ قراراتنا عند ما تنقلب مسراتنا احزان ونحن نعاني شيئاً من آلام جثسيماني او الجلجثة ما هذه جميعها سوى حملنا للصليب واتباعنا للمسيح. ان تمهل الله عن استجابة الصلوات وتضحية النفس الداخلية بل الانفراد باحتمال اثقال القيادة؟ هذه — جميعها جزء من علامات البنين المتألمين والنغول ليس لهم شركة فيها.

« حاملين في الجسد كل حين اماتة الرب يسوع »

«في كل شيء نظهر انفسنا كخدام للمسيح في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في اسهار في اصوام» .

اذا المرء لم يشرب من الحزن كأسه

وتدمِ المآقي من دموع الفواجع

ويقضِ الليالي ساهراً من تفجعٍ
ويهزأ بانفس الروح وسط المعامع
ولم يذك حرباً هازماً قوة العدى
ولم يود خوف الروح بالمواقع
فما ذاق طعماً للسرور المقدس
ولا نال ظفراً خيفةً من مفازع
وخير « له الاخرى » فما كانت الدنا
مقام ثبوت بل مقام تنازع
وما كانت الدنيا مكاناً لهالعٍ
يهاب المنايا او سعير المدافع

ان السماء لها اثني عشر باباً واسماء الاثني عشر الذين تظهر اسماءهم على اساسات المدينة المقدسة جميعهم يحملون سمات الرب يسوع « وكل واحد من الابواب كان من لؤلؤة » واللؤلؤ بين الجواهر رمز الألم والتضحية .

كتب احد المرسلين في كشمير الدعاء التالي عن تسليم الجسد وكل ما له ليسوع المسيح :

« هنا نقدم لخدمتك ايها السيد اللحم والعظم والعصب. لقد وهبتنا الهيكل البشري فعلمنا ان نستعمله لاجلك كآلة صحيحة تسلمناها منك كامانة لنحفظها ونحافظ عليها لاجل اغراضك انت . علمنا ان نستعملها بشدة وقساوة ولكن دون ان نسيء استعمالها قط. وعند ما تبلى ببطء او بسرعة هبنا سرور اليقين بانها انما تبلى لاجلك ومنك آمين».

فهل نستطيع ان نجعل هذه الطلبة صلاتنا يومياً ؟

# الفصل العاشر

«قوة قيامته»

«ان المسيح سابقنا العظيم يقهر الموت و يفتح الابواب المغلقة التي تفصلنا عن الابدية و يدع الروح تمر.

ان الحكمة الازلية بذهابه عن طريق الصليب والقبر الى جو الحقيقة قد أرانا هذا الممر ـــ هذا السر واعطانا كلمة قدرته التي هي مفتاح العالم الروحي. وما أقل ما فعله نور العالم لنا اذ عجز عن ان يضيء لنا ظلمة القبر وعن ان يقلل امامنا فزع الموت.

«هلموا انظروا الموضع الذي كان المحبة الكاملة مضطجعاً فيه»

جون كوردلير

في كتابه

« الطريق الى الحكمة الابدية »

# الفصل العاشر

« قوة قيامته »

توجد صورة بديعة للمصور اوجين برناند اسمها «سبت اليأس» وهي تمثل التلاميذ الاحدى عشر وهم مجتمعون معاً والابواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود ولكن لا تعلو وجوههم بسمة الرجاء ولا يضيء ملامحهم نور الامل والرجاء اذ كانوا في مساء اظلم يوم من ايام حياتهم. فالمسيح في القبر ومعه آمالهم وهم يقولون «ونحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل» كنا نرجو — اما الآن فقد ذهب رجاؤنا هباء. نعم ولقد رأينا قوته ومجده بجانب البحيرة في الجليل، كما شاهدناه على الجلجثة، وسمعنا صرخته المرة وابصرنا ألمه المميت. ثم ان يوسف الذي من الرامة اخذ الجسد ونحن وضعناه في القبر. فيسوع قد مات. وكان في هذه الصورة بطرس جالساً مسنداً رأسه على يديه ويوحنا الحبيب (وفي وجهه ترى تضارب الافكار)

كان يحاول تعزيته ولكن لا يستطيع الكلام . وهكذا مع خيبة آمالهم في المستقبل وثبوط عزائمهم في حيرتهم وارتباكهم بل واندهالهم ايضاً كان كل وجه من وجوه هذه الجماعة تعبير شخصي لاختبارهم المشترك — يسوع مات «ونحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل»

ولكن نشكر الله ان قصة الانجيل لا تنتهي بموت المسيح ولا تختتم بصرخة الانتصار : «قد اكمل» ولا كان هذا رسالة الرسل . فقد تبع موت المسيح قيامته من بين الاموات . ان يسوع كان « من نسل داود من جهة الجسد» ولكن «تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الاموات» لقد مات من اجل خطايانا ودفن ولكنه «قام في اليوم الثالث حسب الكتب» . هذا هو الاستدلال المنطقي لبولس الرسول — لانه يبني ايمانه بقيامة المسيح اولاً على النبوات والمواعيد انه ينبغي ان يقوم ثم على ظهور الفادي الحي لانه قد قام . انه يعطينا جدول ظهورات المسيح بالترتيب ثم يدلل برؤيته المسيح المقام — في طريقه الى

دمشق. ثم يختتم الحديث بقوله : «ان لم يكن المسيح قد قام فباطل ايمانكم . انتم بعد في خطاياكم . اذاً الذين رقدوا في المسيح ايضاً هلكوا . ان كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فاننا أشقى جميع الناس»

كما يقول سدني دو بل — بعد تبصر عميق في حقيقة هذه الادلة وخصوصاً في ظهور المسيح لبولس — : «ان اهتمام بولس الرسول في وضع كل قيمة كرازته على حقيقة القيامة لهو دليل قاطع على القيامة بل يجعل من عقل بولس دليلاً . انه ضامن لعدد وافر من الحقائق كذلك ايضاً باقي الرسل. حقاً ان عدم تصديق الرسل قبل القيامة بالمقارنة مع شدة ايمانهم بعدها واختبار القيامة انها ام الحقائق كلها لهو ايضاً برهان سامٍ لتلك الحقائق»

ان من اعجب الامور في قصة القيامة كما وردت في الاناجيل الاربعة هو ان جميع اقوال شهود العيان هؤلاء تشدد في ذكر شكوك اتباع السيد اولاً وكان عقلهم مجرد شكوك في شكوك وغير مستعدين ان يقبلوا

اي دليل بمجرد الاشاعة — فالنساء «لم يقلن لاحد شيئاً لانهن كنّ خائفات» (مر ١٦:١٨) ولما اخبرت مريم المجدلية تلاميذ الرب عن رؤيتها المسيح الحي «لم يصدقوا» (١٦:١١) وفي الجليل لما رأوا الرب على الجبل «سجدوا له ولكن بعضهم شكوا (مت ٢٨:١٧) وتوما ظل غير مؤمن بقيامة المسيح اسبوعاً كاملاً و بعد ذلك آمن.

إذاً ايمان الرسل بحقيقة وقوع قيامة المسيح لم يكن ايماناً اعمى بل بعيون مفتوحة ومبنياً على بينات متعددة وغير قابلة للنقض اذ «أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم اربعين يوماً». وكان عدد الذين رأوه هكذا حياً وعرفوه اكثر من خمس مئة اخ (اع ١:٣ و ١كو ١٥:٦) و بعد صعود المسيح وحلول يوم الخمسين العظيم لم يبق ظل من الشك في قلب واحد من الرسل. فقد تغيروا جميعاً لان المسيح كان حياً الى الابد وقيامته كانت رجاءهم الحي. انها كانت المحرك العظيم لرسالتهم وليس لرسالتهم فقط بل لاختباراتهم اليومية.

قال بطرس الرسول « هذا اقامه الله في اليوم الثالث واعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم لنا نحن الذين اكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الاموات ( اع ١٠:٤٠—٤٢ ). وكتب بولس الرسول « لانه وان كان قد صلب من ضعف لكنه حي بقوة الله » ( ٢كو ١٣: ٤ ).وقال يوحنا الحبيب« يسوع المسيح الشاهد الامين البكر من الاموات ». نعم هو حي الى الابد ولا يسود عليه الموت بعد لانه ابطل الموت وانار الحياة والخلود بواسطة الانجيل. هذه هي قوة الحياة الجديدة في المسيح . انه في كل مؤمن رجاء المجد وسر النصرة على الخطية . اننا صلبنا ومتنا وقبرنا مع المسيح ولكننا الآن نحيا فيه ولاجله

ان صباح القيامة ليرسل نوراً جديداً—نور الابدية— على جميع الامور العالمية وهكذا تغير كل شيء بل وكل انسان من اجل هذا الرجاء الحي — اظهار قوة الله ونصرة الله على القبر الفارغ. اذا « كان احد في المسيح فهو خليقة

جديدة الاشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» في النور الجديد نور صباح القيامة.

وعند ما يتحقق الناس من وجود المسيح الحي حاضراً معهم تقدّر ملاذ الحياة بمقياس جديد. قال داود لفنجستون: «من الآن لا اضع اي قيمة لاي شيء امتلكه الا بالنسبة لعلاقته بملكوت المسيح» ونقرأ في انجيل يوحنا: «وكان في الموضع الذي صلب (المسيح) بستان وفي البستان قبر» ذلك البستان ما يزال في انتظارنا. انه مخضل بدم التضحية حيث يثمر فيه جميع ثمر الروح. فان قوة قيامة المسيح تمكن الناس من أن يواجهوا اعمق احزان الحياة وحاجاتها بثقة في المسيح الذي يعرف ويريد بل ويستطيع ان يسد كل هاته الحاجات.

ان القلب البشري يجوع لشيئين احدهما الفداء من الخطية وثانيهما الحياة الابدية. واعجب حقيقة في فلسفة تاريخ الديانات هو الاعتقاد العام للبشرية في وجود نوع من الحياة المستقبلة بعد الموت وفي المحاولة العامة لارضاء

الآلهة او الله بكافة انواع التقدمات والذبائح . والمسيح يتمم هاتين الحاجتين. ومع ان تصورات الشعوب القديمة عن الحياة المستقبلة كانت ضئيلة فقد كانت حقيقية وسائدة على افكارهم . وان نفس عبارة «عبادة الارواح» لتدل على افضلية الروح على العالم المادي. وليست الديانات القديمة فقط بل وجميع الديانات الكبرى تعلّم بالخلود وتميل الى الامور الابدية.

ان الناس يؤمنون بالخلود من اجل هذه الحقائق المحسوسة وهي عدم كمال الحياة الحاضرة. ولانهم يلاحظون ان الاخلاق تنمو غالباً حتى بعد ان تأخذ القوى العقلية في الهبوط . بل من صراخ القلوب ونزوعها الى العطف والحب (لان المحبة اعظم من الموت). نرى ان شيئاً في داخلنا يردد صدى صوت العالم الاسمى وهكذا تجذب النفوس دون مقاومة في هـذا الطريق الوحيد لمقامها الابدي . ان كل الاشياء تتجه الى قلب الله لانه اصلها وهو ايضاً نهايتها . قال باستير العالم الشهير : ان الذي

يعلن وجود الغير المحدود --(ومن يستطيع أن ينكره) — انما يجمع في ذلك الاعلان الواحد مما هو فائق الطبيعة اكثر من كافة المعجزات الواردة في جميع الديانات. لان تصور الغير المحدود يوجد صفة مزدوجة فيستولي علينا عنوة ومع ذلك يظل غير مدرك. وعند ما يملا هذا التصور افهامنا لا نستطيع شيئاً سوى السجود والاقرار بذاته العلية. واني ارى في كل مكان في العالم دلائل الغير المحدود وبه ارى ان الفائق الطبيعة هو في قرارة كل قلب» والعلم يتكلم عن الفضاء الغير المحدود والزمن الغير المحدود والاعداد الغير المحدودة والحياة والحركة الغير المحدودتين لان الله «جعل الابدية في قلبهم» (جا ٣:١١).

وليس الموت اكثر عمومية من اشتياق النفس البشرية للحياة الكاملة مثل التي انارها المسيح بقيامته المجيدة وصعوده العجيب.

مهما لاقى المرء حزناً او آلاماً في الحياة
لا يروم الموت حي او يقول بالممات

كلنا نبغي حيـاةً لا مواتاً في القبور
بل حياةً لا رقاداً بل بقـاء للنشـور
ثم مجـداً في السماء وخلوداً للدهور

وهذه الحقيقة معلنة في معتقدات قدماء اليونانيين وفي كتاب الاموات (الذي كان في الحقيقة كتاب الحياة) لدى قدماء المصريين وفي كتب قدماء الفلاسفة عن تناسخ الارواح بل في كتب الاسلام عن الجنة والنار .

ان مشتهى جميع الشعوب في الحياة الخالدة قد تم في المسيح وفيه وحده. ولقد اعطانا نحن اتباعه رسالة فذة رسالة مناسبة لخطايا البشرية واحزانها اذ انار لنا الحياة والخلود بموته وقيامته .

ولمـا كان في كل عصر ومصر يرى طالبو الحق الغيورون عالماً غير منظور ويسمعون اصواتاً غير مسموعة ويحاولون لمس الحقائق الغير المحسوسة — فلن تجذبهم اية رسـالة ما لم تكن من عالم غير هذا العالم . وقد بشر المسيح على قبر اليعازر بانجيل القيامة اذ قال «انا هو القيامة

والحيوة. من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد»

وهذا لب رسالة بولس الرسول انه كان يكرز بالمسيح والقيامة ولم يعرف انجيلاً آخر غير هذا:—والآن ايها الاخوة فاني اعرفكم بالانجيل الذي بشرتكم به، بالانجيل الذي قبلتموه، بالانجيل الذي تقومون فيه، بالانجيل الذي به ايضاً تخلصون، ان كنتم تذكرون اي كلام بشرتكم به الا اذا كنتم قد آمنتم عبثاً فاني سلمت اليكم في الاول ما قبلته انا ايضاً ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب وانه دفن وقام حسب الكتب. ان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل ايضاً ايمانكم ونوجد نحن ايضاً شهود زور لله لاننا شهدنا من جهة الله انه أقام المسيح وهو لم يقمه ان كان الموتى لا يقومون — (١ كو ١٥: ١—٣ و١٤ و١٥). المسيح قام من القبر منتصراً على الموت. فلا خوف من الموت ولا فزع من القبر لانه انار الحياة والخلود بواسطة الانجيل.

فان كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح تكون رسالتنا بل ونحن انفسنا اشقى جميع الناس. ولكننا الآن سفراء قاهر الموت ملك المجد الابدي. وانجيلنا ليس لهذه الحياة فقط بل يتعلق بالابدية ولذلك فقيمته غير محدودة. الغرض من جميع قوانيننا وانظمتنا وعددنا بل وسائلنا واساليبنا ما هي الا صقالة لكي نبني البيت الابدي الغير المصنوع بالايادي الذي في السموات.

اجل ان الانجيل الاجتماعي له مقامه وقوته لان المسيح قد جاء ليعصب منكسري القلب وينادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق ونحن لا نجرؤ على ان نهمل محتويات ذلك الانجيل ومطالبه الصارمة—ولكن لا شيء مثل انجيل القيامة لاستمالة الانسان الفردي

ان الانجيل ليس — كما تدعي البلاشفة — مخدراً يضغط في حلوق الفقراء والبائسين بواسطة الاغنياء والمتغطرسين. بل الانجيل هو الاعلان على أن الاشياء

التي ترى وقتية أما الاشياء التي لا ترى فأبدية . وانا قد نشترك الآن في هـذا العالم المملوء بالظلم في آلام المسيح لـكننا سنبلغ بالايمان به الى قيامة الاموات لانه « سيغير شكل جسـد تواضعنا ليكون على صورة جسـد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء» (في ٣:٢١)

ان النعم الابدية (المذخرة لجميع المؤمنين) في موت المسيح وقيامته كانت فرح الكنيسة الاولى ورسلها وقديسيها وشهدائها والمحرك العظيم لهم. فقد ربحوا العالم للمسيح لانهم كانوا يحتقرون الدنيا واسسوا مملكة روحية في كل قطر لان سيرتهم والوطن المحبوب كانت في السموات . ووضعوا أساسات الكنيسـة في كل مدينة لانهم كانوا «غرباء ونزلاء» وكانوا ينتظرون «المدينة التي لها الاساسات التي صانعها وبارئها الله» .

لا يوجد مظهر في الحق المسيحي يحتاج الى زيادة التأكيد اكثر من هذا. وفي الحقيقة انما نكون متقدمين

في علم اللاهوت اذا حملنا رسالة المسيح المقام والحياة الابدية هذه الى العالم الغير المسيحي. كما قال الدكتور دنرمان «ان رسالة انجيل المسيح عن العالم الآتي قد تقدمت مدة الثلاثين سنة الماضية الى الامام في علم اللاهوت المسيحي بين الامم. واعتبر ان هذه من أعظم الدرجات التي وصل اليها البحث اللاهوتي اذ يجب علينا في هـذه الايام ان نضع اعظم ما يمكن من التأكيد على ما في الانجيـل من التعاليم عن الامور التي تختص بالابديات. وهذا ما على الكنيسة ان تنادي به وتذيعه أعني انه ينبغي لنا ان نركز عقولنا يومياً على هذه الحقيقة ان ملكوت الله قريب وان الله سيأتي بسلطانه المطلق للدينونة وللفداء. وانه يلزمنا أن نجهز نفوسنا في الداخل لمجيء المسيح» وهذه حقيقة رسالتنا بل الانجيل الابدي عن الذي جاء الى العالم الذي مات على الصليب الذي قام من الاموات والذي يأتي ثانية.

فمن بيت لحم ومن الصليب ومن القبر الفارغ ومن

السحب التي حجبته عن النظر يشع نور الابدية . ان الدائرة[١] العظيمة التي تشمل مجمل ايماننا ورسالتنا للعالم يمكن امتدادها على قدر الامكان ولكن يكون لها دائماً كما كان لها في الماضي نقطتان مهمتان — موت يسوع المسيح وقيامته وعلاقتهما بخطية الانسان وبنصيبه الابدي . هذا هو انجيل القيامة .

---

هل كل ذا اتيتهُ    يا رب من اجلي
فكيف لا احبكا    يا رب بالفعل

هل كل ذا تفعله    بقوةٍ وباسْ
ونحن نبقى ضعفاءْ    او يعترينا الياس

---

(١) في الاصل Ellipse ومعناه اهليلجي اي دائرة بيضاوية وانما لازم لكل اهليلجي نقطتان اثنتان لا نقطة واحدة كما للدائرة البسيطة . وقال المؤلف ان نقطتي اهليلجي ايماننا هما صلب المسيح وقيامته

هيّا جميعاً نشكر الـ فادي ونحمد
احمالنا نلقي له من ثمّ نسجد

نعطي له قلوبنا والشكر نرفع
في الحزن ام في الفرحْ ام في الضيق نخضع

وهكذا في عيشنا من ثم بعد الموت
نشدو له تسبيحنا دوماً باعلى صوت

في العيش ام في الموت في الحزن او في الاثم
مسيحنا يكفي لنا اذ قال هذا قد تم

مسيحنا آخرنا واذ كان في الاول
في البدء كان الكلمة وفي السما الاكمل

(انتهى)

# اصلاح خطأ

نأسف لوقوع هـــذه الاغلاط بعضها اثناء الترجمة و بعضها اثناء تصحيح «البروفات» فلا مؤاخذة والسلام (ادارة المطبعة)

| صحيفة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١ | ٢٠ | جلالاً و وقاراً | جلال و وقار |
| ٩ | ١١ | جديد | جديدة |
| ١٠ | ١٠ | فيها | فيهما |
| ١١ | ٦ | قلتموه | قتلتموه |
| ١٢ | ٤ | خاتمة | خاتمته |
| ١٦ | ١٥ | اقامتها | اقامتهما |
| ١٩ | ١ | انطقت | اوحت الي |
| ٢١ | ١٠ | الحوادت | الحوادث |
| ٢٢ | ١٢ | للانسان | الانسان |
| ٢٧ | ١٤ | اولى | أولي |
| ٢٩ | ١ | لدراسي | لدارسي |
| ٣٦ | ٥ | معروفتين | معروفتان |
| ٥٨ | ٥ | أنر | نر |
| ٦١ | ٨ | هم | هي |
| ٦٥ | ١٢ | الوقحين الفاسقين المتعجرفين | الوقحون الفاسقون المتعجرفون |

| صحيفة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٨٥ | ٩ | مظهران | مظهرين |
| ٩٢ | ١ | حلم | حلماً |
| ١٢٠ | ٨ | وان | و إنا |
| ١٢٦ | ١ | ثياباً . تاجاً ملكياً | ثياب . تاج ملكي |
| ١٢٨ | ٤ | لنا | إن لنا |
| ١٥٢ | ١١ | ميسحيا | مسيحياً |
| ١٥٤ | ٧ | وتدرس لاهوتياً | وتدرس درساً لاهوتياً |
| ١٥٩ | ٧ | رجلي | رجليك |
| ١٦٢ | ٦ | ان فيه دافع | ان فيه دافعاً |
| ١٦٣ | ١٤ | الاناجيل | الانجيل |
| ١٦٦ | ١ | مثكلة | مشكلة |
| ١٧٤ | ١١ | اثني عشر | اثنا عشر |
| ١٨٣ | ٥ | أي قيمة | اية قيمة |
| ١٨٦ | ١ | لا مواتاً | ليس موتاً |